الشخصيات المصرية
دراسة ميدانية من خلال تحليل المضمون

دكتور . حسين على حسين محمد
أستاذ علم الإجتماع المساعد
كلية الآداب - جامعة طنطا

الشخصية المصرية
دراسة ميدانية من خلال تحليل المضمون

مقدمـــة:

أهمية الدراسة والهدف منها :

تشير الدلائل الى ان دراسة الشخصية تتطلب دراسة منظمة بتضافر الجهود العلمية لفهم العلاقات المتداخلة بين الشخصية وبين المجتمع وبين الثقافة . بمعني ان تكون الدراسة من خلال علم النفس وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا . ان كل علم من هذه العلوم يضطلع بدراسة جملة من الظواهر تخصه اذ يقوم بتطوير لأدواتها بحيث يستطيع الكشف عما يصاحب هذه الظواهر من تغيرات يقوم بتسجيلها . وهنا يصعب على الباحث دراسة الشخصية منفصلة في علم دون آخر ، اذ ان هذه العلوم تتداخل فيما بينها تداخلا كبيرا ، فعالم النفس التجريبى مثلا يقـوم بتجـارب عن الحيوانـات بحيث يتطلب منه ذلك الرجوع ولو بدرجة يسيرة الى نتائج علم الاجتماع والانثروبولوجيا ، بحيث تصبح هذه النتائج مفيدة فقط حينما يحاول تطبيق النتائج التي توصل اليها وذلك لفهم السلوك الانسانى بوجه خاص ، كما ان العامل بالمجال الاجتماعى عندما يواجه بمشاكل اثناء قيامه بعمله فانه يقوم بتحليلها من خلال اطارنا المعرفى فى مجتمعنا وثقافتنا ، بهذا فانه يحتـاج الى القليل من المساعدة من عـالم الانثروبولوجيا . كما انه يعتمد على التعلم من علم النفس فى كثير من الواقـف . وتشـير المؤشـرات الى انه سـوف يستمر فى القيـام بذلك وبطريقة متزايدة كلما امتد به العمـر.

وباتساع مجال الدراسات الانثروبولوجية ، فقد استطاع كل من الاركيولوجى ، والانثروبولوجى الفيزيقى ان يسأل العديد من التساؤلات الخاصة ولكن دون جدوى من

الاجـــابة الا بالرجـوع الى عالـــم النفس وعـــالم الاجتماع . كما ان العاملين فى مجال علم نفس الشخصية ، ومجال البناء الاجتمـــاعى والنثروبولوجـــيا الثقافية ، يجـــدون انفسهم مهتمين باهتمامات مشتركة .[1]

ولقد وصلت الدراسات الانتثربولوجية لعمليه الثقافة وتكاملها فى الوقت الحاضر الى نقطة متـقدمة بالضرورة وذلك نتيجـــة لاستخدام نتائج ودراسات علم نفس الشخصية . ان كل ثقافة يشارك فيها جميع أفراد المجتمع ، نظمه ومؤسساته ، حيث تكون منتشرة ومتغيرة فيما بين أعضاء المجتمع ، ومع ذلك فان التحليل النهائى يفيد بان المجتمع عبارة عن مجموعة من الافراد . وان هؤلاء الافراد يشكلون مشكلة صعبة فى كل معادلة ثقافية من الصعب التوصل الى حل لها من خلال الأدوات الأنثروبولوجية الخالصة . فعلى الرغم من هجـــرة الأنثروبولوجيين لنظرية " الرجل العظيم " Great man لدى المؤرخين القدامى ، فانهم لاينكرون وجود مخترعات بدون مخترعين . كما يعرفون بأنه ليست هناك تغيرات وتعـــديلات فى الثقافة بدون قبول أفكار جـــديدة بين أعضاء المجتمع . فما الذى يجعـــل الانسان مخترعا أكثر منه سلبيا أمام الثقافـــة . كما أنه لماذا يقبل أعضـــاء أى مجتمع على وجه الخصوص اختراع ما ورفضه لآخـــر . فقـــبول المجتمـــع لأشـــياء جديدة غالبا مايكون من الصعب تفسيرها ببساطة ، فلابد من فهم المصطلحات الميكانيكية للتكامل الثقافى .

* ولفهم هذا الموقف ، فلابد من الرجوع الى نتائج علم النفس ، كما انه يبدو ممكنا ان تتعلق ظاهرتى القبول والرفض بطريقة ما بتجانس congeniality الشىء الجديد مع معيار شخصية أعضاء المجتمع . وبتطبيق تكنيكات وطرق علم نفس

---

(1) Ralph Linton ; The cultural Back Gorud of personalitu; Rontledge & Kegam paul LTD ; gondon .1968. PP. 68, ix.

* تتكون الثقافة من مجموعة من الأنماط الاجتماعية يعيش وفقها الأفراد ويفكرون . وهذه الأنماط متصلة ومترابطة بعضها ببعض بحيث يتكون من مجموعها " كل ثقافى مترابط . كما يؤدى فقدان التكامل الثقافى بالنسبة للأفراد الى الاضطراب النفسى والفوضى والى مشكلات نفسية واجتماعية الى انواع من الصراع قد تحول بين الجماعة وتطورها تطورا سويا (انظر : قاموس العلوم الاجتماعية - د . زكى بدوى) .

الشخصية فى دراسة المجتمعات والثقافات جعل المفسرين على استعداد لفهم ومعرفة أن هناك اختلافات فى تلك المعايير وبعض وجهات النظر حول العوامل المسئولة عن تلك الاختلافات والفروق [١].

وتمثل الجوانب البيئية عاملا أساسيا فى مستويات الشخصية ، تلك التى من الصعب فهمها الا من خلال اطار ثقافتنا الذاتية للمجتمع . ولهذا فان عالم نفس الشخصية لابد له من الرجوع الى المادة التي يجمعها الأنثروبولوجيون من المجتمعات البدائية التى يقومون بدراستها ، والتى تعتبر مجالا خصبا لدراساتهم وتفسيراتهم . والان تعتبر البيئات السوسيوثقافية كافية تماما لأن تقدم اجابات عن معظم تساؤلات عالم النفس .

تمثل العلاقات الشخصية المتبادلة اهتماما أسمى فى تكوين الشخصية ، ولا يمكن فهم ذلك إلا بالرجوع إلى الأوضاع التى يشغلها الأفراد فى النسق البنائى لمجتمعهم . بمعنى أن النسق البنائى يشير الى الحقوق والواجبات التي يلتزم بها الفرد ثقافيا ، ان بناء أى مجتمع هو في ذاته جزءا من ثقافة المجتمع ، وأن كثيرا من ملامح هذه الثقافة لايمكن فهمها الا في ضوء علاقتها بالتنظيم الخاص بتلك الثقافة ككل [٢].

ان الفرد يعتبر دراسة في علم النفس ، والمجتمع دراسة فى علم الإجتماع ، أما الثقافة فهى تنتمى الى الأنثروبولجيا الثقافية ، وعلى الرغم من أن العلمين الأخيرين قد كشفا عن ميل ثابت فى تشابه تفسيراتهما فانه بات واضحا الآن أن هناك تكاملا بين الفرد والمجتمع والثقافة كما أن هناك تفاعلا مستمرا بحيث يجعل المفسرين الذين يحاولون التعامل مع أى منهم مضطرون الى الرجوع الى كلا الاثنين الآخرين . ولكن مع ذلك فان هذه الكليات الثلاث تتمايز الواحدة منها عن الأخرى فى الأغراض الوصفية [٣].

ويعد موضوع الشخصية من الموضوعات الشائكة خاصة فيما يحدث من تداخل

---

(1) Ibid' P.X i
(2) Ibid' P.X
(3) Ibid' PP.3,4.

بين الشخصية القومية وشخصية المجتمع بعينه ، اذ أن الشخصية القومية قد تكون نتيجة عناصر جغرافية وثقافية وتاريخية على المستوى القومى [١]. فالشخصية هنا تعنى الصورة العامة التى يكون عليها الفرد بما يحمله من خصائص تشير بالضرورة الى طبيعة المجتمع الذى ينتمى اليه . ولكن هناك مفارقات فى كون الشخصية قومية ، حين تكون هناك قوميات مثل القومية العربية والقوميات الأوربية ، القومية الألمانية ، بحيث تجمع هذه القوميات على دول تختلف فيما بينها من حيث العادات والتقاليد على الرغم من أنها قد تشترك في مقومات أساسية مثل مقوم الدين أو اللغة . حيث أن التكتلات العسكرية قد صعبت كثيرا من موضوع الشخصية القومية.

ومن هنا برزت أهمية موضوع الشخصية المصرية الذى يكون أكثر تركيزا من موضوع الشخصية القومية . ذلك أن الكثير من الكتابات تعتبر أن الشخصية القومية هي شخصية المجتمع الذى ينتمى اليه الفرد ، وهي الخصائص القومية عند الشعوب . لذلك اعتبرت الشخصية الروسية شخصية قومية وكذلك الشخصية اليابانية شخصية قومية [٢].

والامر عندى يختلف جد الاختلاف باعتبار أن هناك شخصية مميزة لكل شعب على حدة ، فعلي سبيل المثال اذا تناولنا الشخصية المصرية نجدها تختلف عن الشخصية الجزائرية أو الليبية أو المغربية أو أى دولة من دول القومية العربية ، ولكن مع هذا فان هناك صفات عامة قد تميز العرب عموما بما يسمى القومية العربية . وكذلك القوميات الغربية وعلى الخصوص القوميات الألمانية . وقد انحصرت بعض الخصائص القومية لبعض المجتمعات فى الشجاعة والصبر والكرم والبخل والولاء والولع والولع بالفنون ، وهذه الخصائص تمثل النمط الشائع للشخصية [٣].

ويلاحظ أن الشخصية القومية كنمط شائع لاتفسر في علاقتها بالبناء الفرعي الخاص بمجتمع ما . ولذلك حاولنا فى دراستنا هذه " الشخصية المصرية " ربطها بالنمط السائد المتأثر بثقافة المجتمع وبالنشأة الاجتماعية وبنمط الشخصية ذاته .

(١) ارجع الى : د. لطفى عبد الوهاب ، الكيان العربى ، بين المقومات والامكانيات ، دراسة ايديولوجية فى البيئة الاجتماعية ، دار المعرفة الامعية ١٩٨٦ .

(٢) د . محمد سعيد فرح - الشخصية القومية - منشأة المعارف ١٩٨١ ص ص١٤ ، ١٥ ، ١٦.

(٣) المرجع السابق ص ١٦

ففى بعض الدراسات المتعلقة بالشخصية القومية أشارت الباحثة سنية حمدى [1]، فى كتابها مزاج وخصائص العرب ، بشكل يرضى غرور الغرب ، فجعلت سكان الحضر المصريين يتميزون بالمرح وروح الدعابة ، وهاتان الخاصيتان تشترك فيهما مصر مع باقى الشعوب العربية ، وهى ترى أن هناك صفات عامة راسخة ومستقرة وأخرى فى طور التغيير وبعضها آخذ في الاختفاء وبعضها فى طور التكوين ووصفت سنية ، الشعوب العربية بأنها تتميز بالتناقض الوجدانى والانفعالات الشديدة والغضب الانفعالى والنزعة العدوانية ، وطابع الحزن والحب والخوف ، والشعور بالدونية والغطرسة والتفاخر والاهتمام بالمظهر والشكليات ، والأدب الجم المفرط والإنصياع للقادة ، وانعدام الوعى الاجتماعى . ويتركز انتماء العربى فى العائلة أو القبيلة . ولا يوجد شعور بالتضامن الحضرى . والعرب قوم مؤمنون تسيطر عليهم نزعة الدين والايمان بالسحر وتسيطر عليهم الاعتقاد فى الخرافات ، كما يسلمون أمرهم للمجهول فى قدرية عمياء وهم يتحملون المكاره فى سبيل حفظ الذات ، والرجل المثالى رجل عاجز قد صاغته مجموعة من المعتقدات الخرافية والبعد عن الواقع كما تعوق أساليب الفكر السائدة عند العرب من تقدمهم ، وتعطل من مصالحهم ، وتؤدى الى تأخرهم عن ركب العلم المتقدم ، وهم يعيشون فى الماضى ويؤمنون به ، ويتفاخرون بالسلف ولايتكالبون على العمل بل هم قوم متكاسلون ومن بقايا الايمان بالماضى حسن الضيافه والكرم والادب الزائد وطاعة الابن للآباء غير مستقر ، فهى مصدر لمشاكل عديدة بين أنصار النزعات المعاصرة وأنصار الخضوع للتقاليد والدين ، والعربى لايؤمن بالفرد فى حد ذاته وانما يؤمن بالجماعة ، وهذا وعى ناقص كما ان الانتماء قد يصل الي القبائل ويتعدي الأسرة أو العصبية [2].

والعربى يقدس الموتى والاعتقاد هنا مستمد من الدين ، فالدين هو المحرك الأساسى لكل أنماط السلوك ومظاهر الثقافة . كما ان العربى يجنح للكلام أكثر من العمل ، فلا يقبل التجديد ، أفكاره تميل الى المحسوس لا إلى التجريد ، كما تنقصه النظرة الكلية الشاملة وعدم القدرة على التعميم .

---

(١) المرجع السابق ص ١٨ .

(٢) المرجع السابق ص ص ١٩ ، ٢٠ .

وايا ماكانت هذه النظرة التى ساقتها الباحثة " سنية حمدى " التى تقيم فى امريكا ، فقد ادعت انها كانت تنظر الى طباع شعوب العرب بالاعتماد على ماتتذكره في طفولتها . واعتقد ان هذا ضد المنهج العلمى الذى هو من خصائصه الأصيلة الحياد والموضوعية . ولهذا كان من الصعب الاحاطة فى الشخصية القومية بكل مقوماتها العامى لشعوب منطقة ما أو حتى الكتابة ولو بعين المعرفة الشاسعة عن حياة الشعوب وخصائصهم .

ولقد انحصرت الصعوبات التى واجهت البحث فيما يلى :

١ - عدم القدرة على الحصر الفعلى لكل خصائص الشخصية القومية ، وهذا ما يتنافى مع اهداف المنهج العلمى .

٢ - صعوبة استخدام منهج تحليل المضمون لكل الخصائص ، ذلك لأن الشخصية القومية من المفروض ان تكون صفة لشعوب وليس شعبا بذاته .

٣ - ان موضوع الشخصية من الموضوعات التى تداخلت فى الاهتمام به العديد من العلوم وظهرت الكثير من التفسيرات التى خلطت بين الشخصية القومية وشخصية ابن البلد .

لهذه الأسباب مجتمعة فاني آثرت دراسة الموضوع بالأسلوب الآتى :

١ - الاعتماد فى دراسة الشخصية المصرية على منهج تحليل المضمون ، وذلك لمعرفة القيم الثقافية بطريقة ثقافية . وقد عرضنا الاهتمام بالثقافة وتأثيرها على مكتسبات الشخصية .

واستخدام تحليل المضمون عبارة عن تخطيط تحليلى منظم للخصائص العامة للفرد كخاصية التسلط والمحافظة والتدين والوطنية والتسامح والصبر والاعتقاد فى الأولياء

٢ - ويعتبر تحليل المضمون اسلوبا للبحث يهدف الى الوصف الموضوعى المنظم للمحتوي الظاهر للاتصال وهو المعانى التى يعبر عنها بالرموز المختلفة [١].

ويستخدم تحليل المضمون المقارن لمعرفة القيم الثقافية بطريقة ثقافية ، تلك التي تعطينا بدورها مفاتيح ثابته عن الشخصية المصرية . ذلك لأن دراسة الشخصيات

---

(١) د . غريب محمد سيد أحمد - تصميم وتنفيذ البحوث - دار المعرفة الجامعية ١٩٨٠ ص ١٥٩ .

النموذجية على المستوى القومى لاتعتمد على النظرة التأملية ، وانما اتجهت الى استخدام تكنيكات البحث الامبيريقى .

ومن المشاكل الأساسية فى دراسة أى شخصية قوميه هى نقص التخطيط التحليلى المنظم ، وهو النموذج الذى يمكن استخدامه بشكل يشتمل على المفاهيم والمتغيرات الوصفية فى الحدود التى توصف وتقارن من خلالها بناء الشخصية النموذجى (١).

٣ - بالاضافة إلى ذلك فقد قام الباحث بدراسة ميدانية باستخدام دراسة الحالة علي عينة متنوعة مكونة من عشرين حالة لفهم طبيعة استمرار أو تغير خصائص الشخصية المصرية وأصالة هذه الصفات فى ذلك المجتمع .

٤ - قام الباحث بتحليل لبعض شخصيات روايات الأستاذ/ نجيب محفوظ ، خاصة رواية " بين القصرين " لما يحمله مضمون هذه الرواية من انعكاس للقيم والعادات والتقاليد المصرية الصميمة فى فترة زمنية معينة والتى استولت على جوانب الحياة الأساسية بشكل جزئى وأثرت على الشخصية المصرية آن ذاك . كما انحصر الاهتمام أيضا فى المقارنة بين الشخصيات الواردة فى هذه القصة بما تحمله من سمات أصيلة فى الشخصية المصرية . وركزت الدراسة على بعض الصفات المحورية ، كالتسلط والتدين والصبر والتسامح الدينى والاعتقاد فى الأولياء . واستخدمت مثل هذه الخصائص فى تفسير ثقافة المجتمع . ويعتبر تحليل المضمون مدخلا مناسبا فى التطبيق الثابت لمعايير التصنيف . فلم تكن الكلمات الخاصة ولا المحتوى الضمنى أو الخفى قد استخدما كمعيار فقط وانما فوق كل هذا ، كان المعنى الظاهر الذى تم التعبير عنه فى وحدة بناء الأسرة .

٥ - لما كان الأدب يعكس القيم العامة فى المجتمع ، فقد اهتم الباحث بواقعية رواية " بين القصرين " لأن فيها الدلائل التى تشير الى المكونات الرئيسية للشخصية المصرية الأصيلة . فلقد لعبت الأسرة دوراً أساسيا فى تكوين شخصية الفرد خاصة فى المجتمعات الأبوية بحيث أصبح الذكر مسئولا مسئولية مباشرة بحكم تكوينه

(1) Bertrab schuffmer, Fatherland, Astudy of a uthoritaritarinism in the German Family CN.Y.) Colomlia uniw. pr.,1949.

الدينى ثم الاجتماعى عن الأسرة ، والنظر الى الذكر بهذه الكيفية أعطاه صفة السلطة والتسلط بحكم الدور الذى يؤديه . وجاءت التبعية منطلقا للطاعة وسماع الأوامر وتنفيذها . وهذا ليس عيبا اذ ان الولاء للأب ادى الى الولاء للوطن كما سوف نرى فى الرواية .

الشخصية نتاج للتنشئة الاجتماعية :

يعرف فى العلوم الاجتماعية أن الانسان لايولد إنسانا ، انما يولد فقط مزود بقدرات تنزع به الى خصائص الانسانية ، ولكن عليه أن يصارع للوصول إلى هذه الخصائص . مثال ذلك ، ان الوليد يأتى الى العالم ولديه استعداد للكلام هذا من الناحية البيولوجية - لكنه سوف لايسمع مالم يتعلم الكلام . كذلك يولد الانسان ولديه القدرة على التمييز المدهش للضجيج والصخب ويكون السبب فيهما ، وهو فى نفس الوقت يضع أنماطا خاصة من الكلمات - تلك اللغة التى سوف يتحدثها ، وكل هذا يتحدد من خلال الثقافة التى ولد فيها . ويقول " ايروين هـ ". Erwin H.Acherknecht بأن الشخص الذى ينتقل من مجتمع لآخر ، اذا حدث تغير مبكر فى حياته ، ربما يتعلم تماما الطرق والأساليب ، بما فى ذلك اللغة ، من الثقافة الجديدة . ومن هنا نرى أن الوليد البشرى يعمد على مبدأ التعلم ليصبح انسانا.

والعملية التى بمقتضاها يصبح الوليد انسانا وتحقق طبيعته البشرية يشار اليها بالتنشئة الاجتماعية للشخصية Cocialization of Personality والمصطلح يكتب Social ization ليؤكد بطريقة خالصة الطبيعة الاجتماعية للعملية . ومن هنا يصف جورج هربرت ميد G. H. mead العملية التى من خلالها تكتسب المعرفة بالذات Self auarness " كتقمص دور الآخر " . فالطفل يحصل بالتدريج على وعيه بذاته ، بتخيله هو وذلك من خلال تناوله وضعا خارج ذاته ، ويبحث عن ذاته كفكر شخص آخر .

ان ادرك الذات وفهمها Self-conception دائما ما يعتمد على كيفية تخيلات الفرد حيث أن الآخرين يقيمون سلوكه وخصائصه الشخصية ، بمعنى آخر ، ان الذات هى دائما ذاتا اجتماعية.

والتنشئة الاجتماعية للشخصية ربما لها مداخل ثابتة من عديد من الزوايا ، فمن الناحية السيكلوجية يتجه السيكلوجى أو عالم النفس الى التركيز على المحددات البيولوجية أو النظامية للشخصية ، مثل مستوى الطاقة ، والمزاج والدافع ، وما شابه ذلك . ولقد اهتم المحللون النفسيون الفرويدون بالمنبهات الداخلية ، التى تسمى بالغرائز و " الهو " ذلك الجانب اللاشعورى من النفس الذى يعتبر مصدرا للطاقة الغريزية أو البهيمية " Jd " خصوصا الصراع بين الأنا أو الهو وما ينظر اليه الفرويديون ويعبرون عنه بالمجتمع القمعى الذى يكبح جماح الغرائز repressive فمن خلال وجهة نظر التحليل النفسى تبرز الشخصية كنتيجة لهذا التناقض . فعالم النفس الاجتماعى حيث يكون مدخله أقرب لمدخل علم الاجتماع - كان قد اهتم بالمحددات الاجتماعية للادراك ، والانفعال ، خصوصا العواطف أو الاتجاهات التى ينميها الفرد نحو موضوعات ذات قيم محددة (١) .

ان علم الاجتماع يهتم بالاسلوب الذى يتعلم به الفرد لاشباع متطلبات الأدوار الاجتماعية المختلفة التى يلعبها خلال حياته . فاذا كان المفهوم الأساس للشخصية فى علم النفس الاجتماعى هو الاتجاه atlitude، فانه يكون فى علم الاجتماع المعيار norm - القاعدة الاجتماعية - والمعايير تحدد الأسلوب الذى من المفروض أن يسلكه الشخص ويساعده على تحديد اتجاهاته نحو الموضوعات الاجتماعية .

فما أهمية المعايير - نعنى الثقافة - يكمن فى نمو الثقافة ، وهذا يتضح من الأنماط الكبيرة المتعددة للشخصية التى لاتوجد فقط فى العالم ولكن أيضا فى المجتمع الواحد . بينما يؤيد الفسيولوجيا والبيولوجيا وعلم النفس فكرة التشابه الأساسى ووحدة الجنس البشرى ، فانه هناك اختلافات وفروق فى أنماط الشخصية تتحدد بالضرورة بالاختلافات الثقافيه والثقافيه الفرعية . وعلى الرغم من تغير الشخصية من فترة تاريخية لأخرى ، فانه من المعقول أن نذكر أن أنماط الشخصية تختلف عبر الزمن ، فالشخصية تتغير كلما تغيرت الثقافة .

---

(1) Thomas E. Lasswell & athers; Lifein society, scatt. Foresman and Co. Chicago Atlanta Dallas palo Alto Faire lawn N.J. 1965, P.83

ان الوليد الانسانى لايمكن ان يعيش مالم يتعلم كيف يشبع حاجاته ، فلا يستطيع أن يقوم بذلك آليا أو غريزيا . انه يتعلم كيف يشبع حاجاته من خلال التوافق مع المعايير التى تتناسب معه لدى هؤلاء المسئولين عن انسانيته ، أعضاء أى نسق ثقافى . فالفرد يشعر بأنه مجبر على قبول معايير الجماعة ، وهذا مايسمي الامتثال المعايير الجماعة ، ويؤدى الامتثال إلى معايير الجماعة الى بقائها أكبر فترة ممكنة (١).

ان كل الثقافات معقدة ، مثل بناء القرابة فى مجتمع " بسيط " ولهذا فانه من الصعب على أى فرد معرفة كل القيم والمعايير لأى ثقافة . ولكن مع ذلك فمن الضرورى تعلم بعض المعايير التى تحكم الانسان ، الدينية والعقائدية . معايير ممارسة الدين تكون أساسية فى المحافظة على المجتمع وبقائه ، علما بأن هذه المعايير قد تعجز عن جعل كل الناس يمارسون الشعائر والممارسات الدينية . ان مصطلح الدور يحدد المعايير التى تحكم سلوك فرد ما فى موقف ما . الأب مثلا ، أو الأم ، الأخت ، الطالب ، العالم ، كلها تعبر عن بعض الأدوار المألوفة .

يشير الدور الى أعضاء المجتمع ، وهم يمارسون أدوارهم ، كفاعلين . وهناك مرجعان لمصطلح الدور ، المجتمع مثل الفرد سواء بسواء . فالفرد يتفاعل فى ارتباطه بمطالب الدور ، ومن خلال لعب الدور وممارسته role playing فانه يعرف من هو - لكى يكتسب ذاته identity الاجتماعية . لكن محتوى كل دور يتحدد مسبقا للفرد عن طريق جماعته الاجتماعية فى مجتمعه . فتوقعات الدور محددة اجتماعيا . ان مصطلح الدور يشير إلى أسلوب الفاعل الذي يعبر عن سلوكه الواقعى ، كالاسلوب الواجب اتباعه.

ولقد فرق رالف لينتون R. Linton عالم الأنثروبولوجيا الأمريكى بين نوعين من الأدوار الموروثة والمكتسبة ascribed and achieved roles فالأدوار ، الموروثة تتحدد دون الرجوع الى اختيار الفرد ، لكنها ترجع الى المجتمع مثل السن

---

(1) Ibide, P.84.
(1) Ibid; P. 85.

والجنس والقرابة والعلاقات مثلا . أما الأدوار المكتسبة فهى تلك الأدوار التى تفتح الاختيار أمام الفرد ليختار بينها حيث تتنافس ، ففى المجتمع الأمريكى ، تكون الأدوار العائلية موروثة ، أما الأدوار الوظيفية مكتسبة بشكل كبير . كما أن العوامل الوراثية تكون مناسبة للانجاز المهنى أو الوظيفى فى الولايات المتحدة - وفى أى مجتمع يقوم على نظام الأسرة - على الرغم من أن الأساس والتكوين الأسرى دائما مايحدد فرص اكتساب المهارات ، أو تعلم المعايير الضرورية للوصول إلي أدوار مهنية ذات الرتب والدرجات العالية [١] .

لقد حدد " رالف لينتون " في مناقشة لمفهوم الدور ، بأن كل فرد يشغل أكثر من دور فى نفس الوقت (الحقيقة القائلة بأن المشاركات فى الشخصية متعددة داخل المجتمع) . وهذا هو السبب الأول في التناقض بين طريقة شخص ما في سلوكه الذى ينشده وبين سلوكه الواقعى . فالخروج على مطالب الدور الأول غالبا مايحدث أثناء الامتثال لآخر . المجتمع الحديث ملىء بمطالب الدور المتصارعة ، حيث يؤدى عدم التنسيق بين الأدوار الى التفكك فى شخصية الفرد ، ذلك لأن كل دور مرتبط بمجموعة من المعايير والقيم . وتوضح مفاهيم المعيار والدور ، المدخل السوسيولوجى للتنشئة الاجتماعية للشخصية . فالشخص يصبح انسانا عن طريق تشربه لتوقعات السلوك المتعلقة بالناس الذين يتفاعل معهم . ان مصطلح توقع هو نفسه المعيار ، والمجموعة المعقدة من المعايير المرتبطه بأى موقف اجتماعى تمثل الدور ، وأن الشخصية تشتمل على مجموعة معقدة من الأدوار التي يقوم بها الفرد ويلعبها [٢].

تعريف الشخصية وخصائصها :

ان النظرة العلمية للشخصية تجمع بين العوامل الداخلية وأخرى خارجية لابد أن تؤخذ فى الحسبات . والشخصية عبارة عن كل منمط يتكون من العادات والسمات والاتجاهات والأفكار الخاصة بأى فرد ، تلك التي تنتظم خارجيا في الأدوار والمكانات ، كما أنها ترتبط داخليا بالدوافع والاهداف وجوانب أخرى من الشخصية . وللشخصية

---

(1) Ibid; P. 85.
(2) Ibid; P. 86.

جانبان : الدور والمكانة فى ارتبطهما بالسلوك الذى يؤثر على الآخرين ، وتنظيم الحياة أو الشخصية بالنظر إلى الدوافع الداخلية والأهداف والأساليب التى تنظر إلى سلوك الفرد ذاته كسلوك الآخرين سواء بسواء . باختصار ، فهى تهتم بالفعل الظاهر والمعنى . ان مصدر الأدوار والمكانات بتدعيمها بالأفكار والاتجاهات والسمات والعادات هو المشاركة المتميزة فى جماعات متعددة بأنماط ثقافاتها . ان بعض خصائص هذا الشخص كشخصية سوف تشترك مع خصائص هؤلاء الذين يتفاعل معهم . ويمكن النظر الى ذلك على أنه سمة للامتثال . وهناك ملامح أخرى سوف تكون مميزة أو خاصة . ولسوف نناقش فيما يلى مكونات التنظيم الداخلى للشخصية باعتباره يرتبط بالعمليات التفاعلية الخارجية (١).

طبيعة الادراك:

يشير الادراك الى النشاط الحسى ، والتفسيرى وتقييم الموضوعات الفيزيقية والاجتماعية. فالاحساس بالعالم من حولنا يعتمد على كل المنبه الفيزيقى والاجتماعى الذى يكون البيئة . فالاحساس يتحدد أولا بعملية حسية خاصة نستخدمها فى كل وقت وفى أى وقت . والعمليات الحسية تلك التى تتعلق بالبصر والسمع والشم والتذوق واللمس والحاسة العضلية . ويعنى عامل التفسير من ناحية بالطريقة التى بمقتضاها ينظم الكائن الحى كوحدة فاعلية وديناميه مدركاته . كما أنها تتضمن التجربة السابقة Past experieuce أو المعنى . ويؤكد كل من " كراتش وكراتشفيلد" باتباع " نظرية الجشطلت " عن التنظيم العصبى neurological ، حتى فى أبسط ادراكات الطفل تهتم بالبناء والمعني . والبعض الآخر لم يتبن وجهة النظر هذه . على أى حال ، فان الطفل الحديث يبدأ فى تنظيم مدركاته . وبهذا تكون مدركات البالغ بالتأكيد ناتجة عن التعليم بشكل كبير وفى هذا التعلم تلعب العوامل العضوية مثل طبيعة النظام العصبى دورا هاما . كذلك فان التقدير أو التقييم يعتبر جزءا من عملية التفسير . فهو يشير حقيقة الى أهمية الادراك فى مضمونه الاجتماعي والثقافى الكبير . وهذا

---

(1) Kimball Young, Hand B ook of socual psycology Routledge and Kegan poul , LTD, London, /969 ; P. 58.

مايسميه " توماس" " بتعريف الموقف " . وهنا تتجمع الفروق الفردية والثقافية في الادراك الاجتماعى . وعلى الرغم من فهم الادراك الاجتماعى ، فانه مع ذلك يجب التحقق من أن هذا يعتبر جانبا واحدا من العملية المعرفية الكلية للادراك [١].

ويرتبط الادراك بالدوافع أو الحاجات . فما نراه أو نسمعه يتحدد جزئيا من خلال دافع أو باعث خاص في نفس اللحظة ، وما نتعلمه عن هذا الموضوع أو الموقف .

الاختيار:

ان الفرد لايمكنه الاستجابة لأى شيء فى اتصاله بالعالم المحيط به مرة واحدة . ويمكن أن ينظر إلى هذا فى واقع الأمر كحل وسط بين اثارة excitation العمليات الحسية التى تتم عن طريق المنبه وما يراه الكائن الحى أو يرغب فى أن يراه ، أو حتى مايريد الكائن الحي أن يتجنب ان يراه . وتفيد نتائج احدى التجارب المتعلقة بذلك بأن الانتقاء كان انتقاء حسيا بمعنى ان الأفراد يدركون سريعا كل مايقع فى دائرة توجههم القيمى . فمثلا المتدينون جدا يدركون بشكل انتقائى كلمات مثل " مقدس ". Sacred وعيد الفصح Faster وهناك ميكانيزمات انتقائية : فالحس الانتقائى . بمعني أن الأفراد يميلون الى ادراك الأشياء التى تقع فى دائرة توجهات القيمة فى انتقاء وتأكيد ادراكات محددة فقط ، ولكن أيضا فان توجيه القيمة يعمل علي اقامة موانع تجاه المفاهيم التي تهدد قيم الأفراد . ويتضح ذلك من خلال الحقيقة القائلة بأن الذين لايهتمون الا قليلا بالقيم الدنية ، فاذا ماووجهوا بكلمة " مقدس " فانهم يرونها علي أنها رضاعة Sucked، مسلوب Sacked ، وصدمه Shock ، ثم بعد ذلك فانهم يصححون الكلمة ليرونها " مقدس " ، على اعتبار ان الكلمات الاربع متداخلة فى الحروف . كذلك هناك مايسميه المؤلفون رنين القيمة Value reasonance أو مايسمى فى بعض الأحيان الفروض ذات الحلول القبلية Pre-soblution hypothe-sis وتعنى حينما تعكس كلمات المنبه نفس القيم كالفروض التى يفضلها الموضوع والتى تقدم له ، وهى تعرف بسرعة من قبل الموضوع أو تكون ذات رنين [٢].

---

(1) David krech and R.S. Cruchfield, Theory and Problem of social sycholoy, N.Y., Macgraw-Hill, 1948, PP. 84, 85..

(2) Ibid' pp. 60 , 61 , 62.

ويتضح فى النهاية أن عمليه الانتقاء أو الاختيار تعود إلى ان الموضوعات أو المنبه موضوع الاختيار أو التركيز يرتبط بغرض الفرد المدرك . كما ان الموضوعات الغامضة تؤدى الى ادراكات مرتبطة بحالة الفرد الدافعية مثل الجائع الذى يفسر الاشياء الغامضة على انها طعام أو شراب وهكذا ...

التنظيم والتأكيد:

يمثل التنظيم الادراكى حلا وسطا بين مايوجد فى أسلوب وطريقة المنبه وما يحاول الكائن العضوى ادراكه . ومن الواضح ان غموض المنبه غموضا تاما يؤدى الى كبر مساحة الادراك أو القصد فى العملية التنظيمية . ذلك ان أى موضوع يكشف عن حاجاته وملامحه وخصائصه فى ادراك ماهو غامض فى صور رورشاخ أكثر مما يحدث في وصف الصور المحددة بشدة أمامه . فمن خلال هذا التنظيم الادراكي يدخل بطبيعة الحال القصد أو النية المقيدان بالحاجات والتركيز العقلي .

وفى واقع الأمر غالبا ماكان ينظر الى التنظيم الادراكى كمدخل هام لتنظيم الشخصية ذاتها ، مثال ذلك ، فقد كشف الطلبة فى اختبار رورشاخ لبقع الحبر عن أنواع معينه من الظل السائد المعتم من التنظيم الادراكى للأفراد الذين يعانون من القلق كما كشفت أيضا عن أن الأفراد الأكثر توترا يفضلوان الألوان كما ان الكثيرين من المصابين بمرض العصاب وهم تحت العلاج تعرض عليهم اختبارات رورشاخ لمعرفة صدق لون بقع الحبر التى تعرض عليهم . فى الحقيقة ان الأسباب الأساسية لردود افعال الشخصية بوجه خاص تقوم فى تفسيرها على حاجات الانسان وحالته العقلية .

فالتنظيم الادراكى غالبا ماينظر اليه على أنه المدخل الأساسى لتنظيم الشخصية ذاته فالطالب فى حالة اختبار رورشاخ كشف عن ظلال سائدة لتنظيم شخصية الأفراد القلقين . أو أن الأفراد الغاية فى التوتر كانوا يفضلون الألوان فى اعمالهم . وهناك دراسة لمظفر شريف عن معايير الجماعة ، وتعنى تدخل العوامل الثقافيه وما تلعبه فى التنظيم .

ولما كانت الشخصية بداءة عبارة عن تصور للاستجابات التى لدى الفرد نتيجة لتجربته ، فان هذه التجربة بدورها ناشئة عن تفاعله مع بيئته ، كما أن خصائص الفرد

الموروثة تؤثر على نوع التجربة التى يستمدها من تفاعله [١].

ولعله من الهام النظر الى الشخصية من خلال القدرات الموروثة والعوامل البيئية ، هذا بالاضافة الى مايسمى بالعامل المزاجى للفرد [٢].

وهناك مايسمى بعلمية تنميط سلوك الفرد ، ففى السنوات الأولى من حياته تتأسس أنساق اتجاه - القيم وتعميمها ، تلك التى تكون المستويات العميقة لمضمون الشخصية . ففى بعض المجتمعات يطبع النمط الثقافى للطفل بطابع الطاعة العمياء ، بحيث يميل عند كبره الى التبعية يعتمد على غيره وتنقصه المبادأة . وينسى تماما تجارب الطفولة التى أدت به الى تأسيس هذه الاتجاهات [٣].

وفى مجتمعات أخرى يكون هناك تدريب على القيادة ، فى مجتمع آخر تتركز العواطف والمكافآت والعقاب فى يد أسرة صغيرة ، ومن ثم يكون الاشباع أو الاحباط صادر مباشرة من الآباء أو الأمهات وفى مجتمعات أخرى حيث يتربى الطفل فى بيئة عائلية ممتدة ، مع الكبار ، كل منهم بستطيع مكافأته أو عقابه ، فان شخصيته تميل إلى معارضة الاتجاه .

ان ثقافة أى مجتمع تحدد المستويات العميقة لشخصيات أعضائها من خلال التكنيكات الخاصة لتربية الطفل بحيث لاينتهى تأثيرها بهذا الحد . وتستمر هذه العملية فى تشكيل الباقى من الشخصية عبر الحياة . ففى كل مرحلة من مراحل حياة الكائن الحى تفيد الثقافة كدليل ، فهى لاتقدم له النماذج فقط وانما تغير من أدواره لتؤكد له أن هذه الأدوار ليست هى على العموم بمقارنتها بأنساق اتجاه القيم التى ترسبت عنده . فكل الأنماط داخل الثقافة الواحدة تحاول أن تكشف عن نوع من الترابط النفس السيكلوجى الناتج عن العلاقات الوظيفية . فالفرد الذى يقضى حياته فى مجتمع ما فى ثقافة ثابته تكون شخصيته اكثر تكاملا كلما كبر فى السن . ويمكن معرفة التكامل من تكيف الفرد مع الظروف الثقافية المتغيرة بسرعة . والذين عاشوا

---

(1) Ralph Linton; op. cit'; PP.89, 3, 4, 5.
(2) Ibid; P. 86.
(3) Ibid; PP. 91, 92.

فى ثقافة ما انما يحاولون التوافق مع الأخرى ، وهؤلاء ما يطلق عليهم الهامشيون[1].

والشخصية أعرض مدلولا من الفردية . ذلك لأن الشخصية تستوعب الكل المنظم من العمليات الاطرادية والحالات النفسية المتعلقة بالفرد . فالشخصية هى كل مامر بالفرد من تجارب فى الماضى والحاضر بشرط أن يفهم هذا الكل كوحدة . ومن هنا تلتقى الثقافة بالشخصية ويذكرنا هذا بأن النمط العام لأية ثقافة يحدد أكثر من أى عامل آخر الخطوط الرئيسية للشخصيات الفردية . وهذه بدورها تفصح عن النمط الثقافى وتعمل على استمراره [2].

والأدلة كثيرة عن العلاقة الوثيقة بين أنماط الثقافة ومظاهر الشخصية ، فقد سجل الانثربولوجيون اكتشافات متتاليه ، اذ وجدوا أن قبائل الزونى الهادئين الوادعين الميالين للتآلف من أهل الجنوب الغربى ، وعند قبائل الكواكيوتل المتطرفين ونزعتهم الفردية ورغبتهم فى المنافسة من أهل الشمال الغربى ، وكلاهما فى الولايات المتحدة. وعند أهل دوبو بالقرب من غينيا الجديدة المشهورين بالتشكك والتشاجر وعند الـ : كومانش المعروفين بحب العمل والشجاعة والديموقراطية وعند كثيرين غيرهم . وليس بمستغرب أن تدعو هذه الاكتشافات بعض الانثروبولوجيين لأن يروا أن العلاقة المشار اليها ذات أهمية مباشرة بالنسبة لعلماء النفس . ذلك لأن الاكتشافات التى اعلنت هى بمثابة أدلة " معملية " على الدور الكبير الذى تلعبه الثقافة لامن حيث تأثيرها فى السلوك فحسب ، بل من حيث تشكيلها لتركيب الشخصية نفسه [1].

الشخصية المصرية:

ان دراسة الشخصية المصرية ، هى فى واقعها وجوهرها دراسة للذات المصرية والنفس المصرية في الروح المصرية والمزاج المصرى . وهذا مايدخل ويعود بنا على الفور الى مجالات علم النفس والأنثروبولوجيا الاجتماعية والأخلاقيات الجماعية ونظرية الأمزجة والبيئات وقضية الطوابع القومية والشخصية القومية .

---

(1) Ibid; P. 93.

(٢) روبرت ماكيفر - المجتمع - ترجمة د . على أحمد عيسى - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧ ص ١٢٥.

(٣) الرجع السابق ص ١١٨ .

تميل جمهرة من المفكرين والدارسين الى الاعتقاد بوجود شخصيات قومية وطوابع قومية كنتاج طبيعي ومنطقي ومعقول وارد ، لتعايش وتفاعل مجتمع ما في بيئة مادية وبشرية خاصة عبر تاريخ ألفى متصل . فبدون قوالب منمطة أو أقفاص حديدية ،ولكن كالعدسة المجمعة ، أليست تجنح هذه العمليه بمجمل المجتمع نحو قدر ما من الاستقطاب البؤرى والتشابه النسبى وشبه النماذج الكلى ؟ .

ألا يصنع هذا كله فى النهاية نمطا أو شبه نمط متيز نسبيا فى الانسان والطبيعة والقيم والعادات المكتسبة أو تضفى نوعا هاما أغلب عليه كمتوسط أو كنموذج أكثر تواترا وحدوثا فى المتوسط هو مايحق لنا موضوعيا ودون تجاوز أو حرج أن نسميه الطابع القومى أو الشخصية الوطنية [١].

وتلك الطوابع وهذه الشخصية مكتسبة بقدر ماهى موروثة تابعة من الثوابت والمتغيرات الجغرافية والتاريخية الطبيعية والبشرية ، فانها متغيرة متطوره عبر العصور وليست جامدة مؤيدة بالضرورة . ان كان هامش تغيرها محكوما ومحسوبا ومحدودا بالضرورة . ومن ثم تميل الطوابع القومية الى الثبات والاستمرارية عبر العصور وان تغيرت فبالتطور التدريجى الوئيد والجرعات الضئيلة لا بالطفرات الثورية الحادة الجذرية .

وفى مصر تميل الكثرة الى الاعتقاد بوجود شخصية قومية مصرية متميزة الى حد أو آخر والتى يمكن التعرف عليها وقياسا بقدر أو بآخر من الدقة على أن منطقة الخطر انما تبدأ حين تضع هذه الخصائص المستنبطة فى الميزان لتقييم الايجابيات والسلبيات .

فمن ناحية ماقد يراه البعض ايجابيات ومحاسن قد يعده البعض الآخر سلبيات ومثالب ، ومايعتبره البعض نقاط قوة وبقاء ومفاخر للشخصية المصرية قد يصفه البعض الآخر بأنه نقط ضعف وهوان للشخصية المصرية [٢].

ان مثل هذه الخلافات فى الحكم والتقييم انما يتوقف على وجهات نظر ذاتيه تماما ، كفلسفة الأخلاق ومعنى الخير والشر والفضيلة والرذيلة والحلال والباطل ومثل الجمال ومدى المثالية والواقعية والنظرة التفاؤلية أو التشاؤمية .

---

(١) د. جمال حمدان - شخصية مصر - المجلد الثانى - عالم الكتب ١٩٨٤ ص ٤٩٦ .

(٢) مرجع سابق ص ٣ ص ص ٥١٨ ، ٥١٩.

واختلاف الناس حول قضية مافانه يعني أنه لامقياس يعنى للقيم ، ولا ضابط للمقاييس وبالتالى لانهائية فى الأحكام ، بل لا أحكام على الاطلاق ، وهذه مشكلة النظرة الذاتية الفلسفية التى تجنح مع مثيلاتها الي النظرة المصلحية - أو الذاتية التي تنحصر فى نقط الضعف والسلبيات فى الشخصية المصرية وهم عادة أشد الوطنيين المصريين الممتازين طموحا وأخلاصا وأشدهم حبا لمصر وحبا عليها ورغبة فى تقدمها ورقيها - الى خارج دائرة العلم الوضعي أو الموضوعى [١].

ان معظم السلبيات وعيوب الشخصية المصرية انما يعود أساسا إلى القهر السياسى الذى تعرضت له ببشاعة طوال التاريخ . السلطة والحكم والنظام : الطغيان والاستبداد والديكتاتورية ، البطش والتعذيب والتنكيل : الارهاب والترويع والتخويف. ولا حل ولا أمل للشخصية المصرية حتى اليوم فى التغيير ولا فى التخلص من سلبياتها الخطيرة المعقدة الا بتغيير القهر السياسى أولا وأخيرا [٢].

وهناك العديد من الصفات توصف بها الشخصية المصرية مثل المرح والصفاء (وعند ابن خلدون الفرح والخفة والغفلة) ، روح الفكاهة والنكاة والسخرية ، الميل الى الحزن والانبساطية التى لاتميل الى الفردية ، البساطة والتعاون ، حب الأسرة والأسلاف ، التدين والنزعة الروحية والنزوع الدينى الغيبيات ، القدرية التوكلية أو الاتكالية ، الرضا (دون دونية) القناعة، الطاعة التى لاتدعو الى التمرد والثورة (ولكن دون غضاضة) ، الدعة والوداعة ، الصبر . السلبية والاستعداد للسلبية وعلو السلبية وسيادة السلبية (دون ذل أو استكانة مع ذلك) ، كثرة الخضوع والشعور بالتبعية ، اللامبالاه ، القهر وكف العدوان ، المحسوبية ، والمحاباة ، النفاق ، (وعند المقريزى " الدعة والجبن وسرعة الخوف والنميمة والسعى إلى السلطان) .

وهناك شبه اتفاق علي بعض الخصائص الأساسية تعد أركان أو أقطاب تلك الشخصية . أولها التدين : وثانيهما المحافظة ، وثالثهما باستمرار الاعتدال ورابعها غالبا الواقعية ، وخامسها احيانا السلبية وبهذا الشكل فان الاعتدال يعتبر الصفة المتوسطة ومحور الارتكاز بين تلك الخصائص والنواة النووية فى قلبها .

---

(١) مرجع سابق ص ٥٢٢

(٢) مرجع سابق ص ٥٢٢ .

خصائص وصفات الشخصية المصرية
فى بعض روايات الاستاذ نجيب محفوظ (بين القصرين)
من خلال منهج تحليل المضمون

اننى احاول فى هذه الدراسة القاء الضوء على بعض الخصائص العامة للشخصية المصرية كخاصية التسلط والتدين والمحافظة والاعتدال والواقعية وأحيانا السلبية فى بعض روايات الأستاذ نجيب محفوظ لما تتسم به هذه الروايات من واقعية ، وترجمة لروح العصرالذى يعتبر مرآة تحدد شخصية أفراد المجتمع وواقعهم الفعلى . وتمثل هذه الصفات أبعادا ثلاثة ، البعد الاجتماعى ، ثم السياسى ثم التاريخى .

ولقد استقر الاهتمام على رواية " بين القصرين " لأنها نالت شهرة واسعة فى مجال النقد كما اسهب النقاد فى الحديث عنها ، وتناول كل منهم برؤيته الخاصة ، واتفق الكثير على أنها تنهج منهجا واقعيا .

والثلاثية (بين القصرين ، قصر الشوق ، السكرية) من أكثر انتاج الكاتب ذيوعا ، ليس بين النقاد والأدباء فحسب ، بل وبين عامة الشعب ، كما جسدها المسرح على خشبته ، ثم اختطفتها فيما بعد السينما .

ولقد انتهى الأستاذ / نجيب محفوظ من كتابتها قبيل ١٩٥٢ (ثورة يوليو) ، مختتما بها . مرحلة من مراحل تكوينه الفكرى والفنى ، فى علم الرواية النثرية .

وتدور أحداث " بين القصرين " فى الفترة ما بين ١٩١٧ - ١٩١٩ ، وتحكى قصة حياة أسرة من الطبقة البورجوازية التجارية الصغيرة ، يهيمن عليها الأب السيد أحمد عبد الجواد ، الذى يتسم بالديكتاتورية والاستبداد والتسلط بالرأى ويبدو فى الرواية وكأنه تجرد من مشاعر الانسانية وانه كرب أسرة يقوم ببعض ماتفرضه عليه واجباته [١].

لقد تميزت هذه الحقبة من الزمن (١٧ - ١٩١٩) بالدفاع عن الفكر الديموقراطى على يد أحمد لطفى السيد ، الذى نادى بألا يكون للحكومة من سلطة الا ثلاث مهام

---

(١) د . مصطفى عمر - القصة وتطورها فى الأدب العربى الحديث - ط ١ دار المعارف ١٩٨١ ص ص ٢٥ ، ٢٦ .

فقط : هى الأمن فى الداخل والدفاع عن الوطن واقامة العدل بين الناس ،وفيما عدا ذلك من مهام التجارة والصناعة والزراعة فيقوم بها الأفراد ولا دخل للحكومة بها . وحتى يقوم الأفراد بهذه المهام يجب أن يتمتعوا بالحرية الكاملة وهي بمثابة حقوق أصلية للأفراد وللأمة . وهذه كانت المقدمات التي تؤدى إلي الاستقلال بخروج الاحتلال البريطانى عن مصر ولن يتسنى هذا الاستقلال طالما هناك تخلف وضعف للأمة اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا . ومن هذا المنطلق فقد أثار فى الشعب المصرى موجة من الفكر والوعى .

وبعد ذلك جاء سعد زغلول فانفجرت الجماهير بالثورة العارمة ارتجت بها أرض مصر . ورفع الحماية البريطانية عنها . ولما نفى سعد زغلول الى مالطة قام الشعب بثورة عارمة شملت مصر كلها . المسلمون والأقباط ، كل طبقاتها ، كما اشتركت المرأة المصرية في كل ذلك .

ولقد أثرت هذه الفترة فى كتابات الاستاذ / نجيب محفوظ ، وانعكست فى كتاباته ، حيث نجدها مزيجا من العمل الاجتماعى والسياسى والثقافى ، ففي الرواية (بين القصرين) نجد فيها العديد من الشخصيات التى تمثل الاتجاهات المعاصرة لكاباته للقصة وانعكاسها على الشخصية المصرية . وقد اتسمت هذه الشخصية المصرية بالعديد من الخصائص التى لاتزال ممتدة الى يومنا هذا .

نظرية الشخصية المتسلطة :

كثير من العلماء الاجتماعيين يتناولون الشخصية المتسلطة كمفهوم أساسى برجوعها الى العائلة المتسلطة . وهم بهذا المفهوم انما يحاولون تفسير ظهور أنماط الشخصية المتسلطة . فقد أفاد مفهوم العائلة المتسلطة فى دراسة الشخصية المتسلطة الألمانية . وتفترض هذه النظرية بأن الطفل الالمانى معرض للتناقض الكامل فى علاقات السلطة ، وذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية . ان بعد dimension السلطة يشتمل على تقييم متعارض تماما : السيادة والتبعية الأمر والطاعة ، العلو والدونية ، وهكذا . فالعلاقات الانسانية من النادر ان ينظر اليها على المستوى الافقى (بمعنى المصطلح التقييمى " الديموقراطية " ، ولكن أكثر من ذلك ينظر اليها فى حدود نظام الرتبة الرأسى Vertical ، فى حدود اللامساواة الأساسية و " الطبيعية " .

والشخصية المتسلطة تتمثل في مفهوم علاقة السيطرة والتبعيه dominant-submissive [1] وتطبقها بقوة من خلال الرموز اللازمة . وتتأثر صورة الشخصية المتسلطة تماما بالوضع الخاص الذى يشغله في بناء السلطة . فالبناء الاجتماعى له معنى أساسى فى حدود بناء السلطة . مثلا ان شاغل وضع اجتماعي معين يجد نفسه فى علاقات سلطة مختلفة مع أوضاع أخرى محددة . فالجوانب الممتازة جدا لوضعه تمكنه من السيطرة على الآخرين ، أما الجوانب الدنيا لوضعه فانه يتطلب منه الطاعة والتبعية لأوضاع ومكانات أخرى . وهناك يوجد تعايش خفى وكامن latent لتصور الذات مزدوج تصور العلو والدونية Super and inferior. حيث أن أحد تصورات الذات يجب أن يؤخذ به فى الاعتماد على وضع خاص فى وقت ما .

ان القيم المتعددة مرتبطة بالاتجاه التسلطى الاساسى . وأحد هذه القيم مبدأ القيادة الذى يعتبر مناورة بالغة . بالنسبة للشخصية المتسلطة فمن العادة أن تشكل متغيرا أساسيا للعقيدة والتقاليد . فهي تطبيق للطاعة العمياء لقائد ما وتقع المسئولية على أتباع هذا القائد ، فالقائد يعتقد بل ويشعر بأن ذاته تلازمه وتناديه ويعلن فى صراحة بأنه قائد بذاته ، فاذا كان مقبولا أولا من الأتباع ، فان قراراته النهائية ترد وتعود اليه وليس للجماعة التى انتخبته ويمثلها ديموقراطيا . القيادة نوع وخاصية فطرية inborn انها سلطة طبيعية تلك التى لايمكن تعلمها . أما الطاعة للقائد فهى فقط طبيعية ، نوع من المذهب الطبيعى الصوفى الخفى mystical naturalism من الناحية المفهومية الكاريزمية charism .

والطاعة للقائد تعنى الولاء للوطن Fatherland ، وبتعبير آخر هو الاتجاه السلطوى . وبمقارنة الوطن بادراك الفرد المتسلط لذاته هو من النقائص الكبري .

---

(1) Alex inkeles and Daniel Y. Levinson, National character, the study of model peronality and sociocultue syatems, in Grander lindzey, ed., Hand Book af social psychlogy Vol. II london=Addison wesley co. 1954), p.989,FF.

فالتطبيق الماهر لمبدأ القيادة مرتبط باللجوء الى الولاء للوطن وهذا يخلق اتجاها يجعل الحرب والموت للأمة واجب نبيل وبطولى [1].

وهناك تعبيرات للتسلط تظهر فى الاعجاب بالقوة ، السطوة والعمل فالقوة والسطوة تستمد معظم تعبراتهما الواقعية من الشجاعة . وخصائص هذا المفهوم هى القوة الفيزيقية ، الجلد ، الشجاعة والفضائل المختلفة للشجاع . وعلي المستوي الأكثر تجريدا ، فالقوة هى خاصية وميزة مرغوبة لأى أمة ككل ، كما هي عند الأفراد ، وعلاقات السلطة لدى الأمم ينظر اليها في حدود أبعاد القوة الرأسية . فالأمة العظمى أو حتي الجنس العظيم يكون مسوغا أو مبررا للسيطرة على الأخرين .

والقصة سجل يرصد فيه الكاتب تفاصيل الحياة اليومية لهذه الأسرة والحقيقة أن هذا الرصد قد استغرق الكثير من صفحاتها وفصولها ومن خلال هذا السجل يعرض علينا المؤلف بعض المواقف التى تتجسد فيها مقدمات المجابهة بين أفراد الأسرة والأب بديكتاتورية . وقد سلط الكاتب الأضواء على شخصية " السيد أحمد عبد الجواد " ورسمه صورة لرب البيت فى هذه المرحلة وما كان يتسم به من ديكتاتورية وقوة وغشوم [1].

وفى صدر القصة يحكى لنا الكاتب أنه فى العام الأول لزواج الأب السيد أحمد عبد الجواد من أمينة الأم ، قد خطر لها مرة أن تعلن نوعا من الاعتراض المؤدب على سهره المتواصل ، فما كان منه الا أن أمسك باذنيها وقال لها بصوته الجهورى فى لهجة حازمة " أنا رجل ، الآمر الناهى ، لا أقبل على سلوكي أى ملاحظة ، وماعليك الا الطاعة ، فحاذرى أن تدفعينى إلى تأديبك " ، فتعلمت من هذا الدرس حين حمر لها عين الغضب . وكان عليها الطاعة بلا قيد ولاشرط وقد أطاعت ، وتفانت في الطاعة حتي كرهت أن تلومه على سهره ولو فى سرها ،ووقر فى نفسها أن الرجولة الحقة

---

(1) Studying National character through compatwe comtent Analysis by Hans sebald; in social Forcs, ohio stateum ., P. 318.

(٢) مصطفي على عمر ، مرجع سابق ص ص ٢٦ ، ٢٧ .

والاستبداد والسهر الى مابعد الليل صفات متلازمة لجوهر واحد ، ثم انقلبت مع الأيام تباهى بما يصدر عنه سواء مايسرها أو يحزنها ، وظلت على جميع الأحوال الزوجة المحبة المطيعة المستسلمة ، ولم تأسف يوما علي ما ارتضت به لنفسهامع السلامة والتسليم [١].

ولعل مايتمتع به السيد أحمد عبد الجواد هو شعوره بقيمته وأهميته فى المجتمع ومبلغ أهميته فيه ومدى ادراكه لحقوقه وواجباته ، وهذه الطبقة الاجتماعية للشخصية بجانب فكرته عن نفسه ترتبط بشعور الفرد بمبلغ حاجة المجتمع اليه ، وهل هو مطلوب أو يمكن الاستغناء عنه وهل هو مهم أو لا أثر له . ويؤكد موقف السيد أحمد عبد الجواد باعتباره أحد التجار المهمين ، فكرة تعامله مع بيئته وقيمته من حيث تأثيره فى المجتمع وتأثر المجتمع به [٢].

وصفة التسلط هذه لم يتصف بها فقط السيد أحمد عبد الجواد ، وانما هذه الصفة كانت طابع الشخصية المصرية فى ذاك العصر وهى رمز للمحافظة على القديم والتراث والتقاليد والموروثات ولا يقبل الجديد بسهولة ، ويؤدى ذلك الى الاستقرار والاستمرار فى تدعيم تلك الشخصية المتسلطة .

والتفسير الاجتماعى لهذه الصفة انما يرجع الى التربية فى حد ذاتها على أساس أن الذكر خاصة المجتمعات الشرقية مميز عن الأنثى فى كثير من الوجوه حتى بات أن انجاب الاناث عار على الأسرة ولابد من التخلص منه . وسارت هذه الأفكار من القديم الموغل فى القدم مع ازدياد الاهتمام بالذكر حتى أصبح هو سيد الموقف وساعد على ذلك أنه أصبح رب الأسرة كما وظهرت المجتمعات الأبوية التى يدين للذكر بسلطة رعاية أسرته . فمن خلال التنشئة يتم ادماج القيم التى تؤكد الطاعة ، طاعة الأبناء للوالدين . فعملية التنشئة لاتخضع لمنهج مخطط محدد له ، بل هى عمليه شخصية تثمر نتائجها بمقدار ما يبذل الوالدان من جهد [٣] .

---

(٢) نجيب محفوظ بين القصرين ص ص ٧ ، ٨ .

(٢) د . محمد خليفة بركات - تحليل الشخصية - مكتبة مصر ط ٣ ١٩٥٧ ص ص ٥ ، ٦ .

(٣) د . محمد سعيد فرح - الطفولة والثقافة والمجتمع - منشاة المعارف ١٩٧٣ ص ٢٧.

والأسرة فى الريف مازالت تحتفظ بكثير من صفات الأسرة الأبوية القديمة . فهي غالبا ما تضم عدة أجيال يعيشون فى بيت واحد كبير ، وتحت رعاية جد الأسرة الأكبر . ولا يستطيع الأبناء أو البنات أن يبرموا أمرا ، سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية (كالتفكير فى الزواج) الا بعد أخذ رأيه وموافقته [١].

ولقد كانت الأسرة الأبوية الكبيرة هى الشكل السائد فى المجتمع العربى الى عهد قريب ويطلق على هذا الشكل الأسري اسم " الأهل " أو " العائلة " ، وكثير من القري العربية لايزال ينتشر فيها هذا الشكل الأسرى . والعائلات التى ترتبط بعائلات القرابة تسمى " بدنة " وكثيرا ماتعيش عائلات البدنة الواحدة فى بيوت متقاربة . وفى الغالب تتكون القرية العربية من بدنتين وأحيانا من بدنه واحدة ، أو عدة بدنات .

ومن أهم العوامل التى ساعدت على استمرار الأسرة الكبيرة ، فى المجتمع العربى لعدة قرون نظام ملكية الأرض وتوريثها ، فان الشاب سواء أكان متزوجا أو أعزبا لم يكن يمتلك الأرض طول بقاء والده على قيد الحياة . وهكذا يضطر لأن يعيش فى منزل والده أو جده الذى يقوم بالانفاق عليه وعلى أسرته اذا كان متزوجا .

ولقد بدأ هذا النظام يتغير تغيرا سريعا منذ حوالي أربعين سنة تقريبا وأخذ يحل محله ، فى المدن أولا ثم فى الريف بعد ذلك ، نظام الأسرة الزوجية أو النواة ، ويرجع هذا التغير الى عدة عوامل أهمها :تفتيت الملكية الى ملكيات صغيرة ، ثم التغير الحضرى السريع وانتشار المدن . ومن المعروف أن نظام المساكن الحديثة بالمدن لايسمح بوجود نظام الأسرة الكبيرة [٢].

وعلى الرغم من وجود هذا التغير سواء نتيجة تقسيم الأملاك أو الاستقلال فى منزل الزوجية الا أن للأب هيبته ومكانته فى تصريف الأمور ، وقد يرجع له الأمر فى كل كبيرة وصغيرة . ولا تكمن القضية فقط فى التغيرات الظاهرية نتيجة لكثير من العوامل الخارجية بقدر ماتكمن فى أسلوب وطريقة التربية والتنشئة الاجتماعية اللذين بهما ينظر الى المرأة باعتبارها تحتاج الى عناية ورعاية من قبل رجل قوى يطاع أمره

---

(١) انظر : مذكرات أ. د . السيد محمد بدوى - النظم الاجتماعية فى العالم العربى ٨٢ ، ٨٣ ، ص ١٥٥.
(٢) المرجع السابق ص ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

ويلتزم بما يقرر . فالرجل مسئول عن رعاية اسرته من حيث المأكل والملبس والمسكن والتكفل بالأولاد من تعليم وتربية وما الى ذلك من واجبات أقرها الدين وولاه السلطة على رعايته . والرجال قوامون على النساء ، بمعنى أن لديهم القدرة وعليهم المسئولية ، وشعور الرجل بهذا الدور يعطيه الاحساس بالسلطة .

ويسمى فردريك لوبلاى هذا النوع من الأسر العريقة ، حيث تعيش ثلاثة أو أربعة أجيال معا تحت السلطة الأبوية ، اذ تضم زوجين الى جانب غير المتزوجين . ويمثل الأب فى الأسرة الكبيرة أو الممتدة أو الأسرة غير المنقسمة والتى يسميها السير " هنرى مين " بالأسرة المشتركة (كالأسرة الكبيرة في البنجاب ، أو ايرلندا ، والزادروجا السلافيسة) ويمثل السلف المشترك الأمين على عبادة الأسلاف والقائم على ادارة الممتلكات المملوكة ملكية مشتركة لجميع أفراد الأسرة . ويتجسد هذا النظام فى " البيت الطويل " عند الاسكيموا ، أو البيت الكبير عند الهنود الحمر بأمريكا الشماليه ، الذى ينقسم إلى أقسام يضم كل قسم منها أسرة معينة من الأسر الصغيرة التي يشملها البيت الكبير ، وتعيش الأسرة الأبوية (التى يسيطر فيهاالأب ، مثل الأسرة فى روما القديمة ، فى ظل السلطة المطلقة " لرئيس العائلة ، الذى يعتبر الملك الوحيد فيها [١].

والمحافظة على السلطة دليل على المكانة بين أهل البيت ، فنجد السيد عبد الجواد ، يعود كل ليلة متأخرا بعد أن يعاقر الخمر فى سهرته الطويلة حتى الافراط فى الشرب والسكر الا أنه لم يقرر العودة إلى بيته حتى تزايله سورة الخمر ويستعيد سيطرته على نفسه حرصا منه على وقاره والمظهر الذى يحب أن يبدو به فى بيته [٢].

ولقد كشفت نتائج الدراسة الميدانية بنسبة ١٠٠٪ أن الرجل لايزال مسئولا مسئولية كاملة عن الانفاق على الأسرة ، وهذا في حد ذاته امتداد باحساس الرجل بالسلطة . كما كشفت النتائج ايضا بنسبة ٦٠٪ أن الزوجة لاتشارك فى مصروف المنزل وهذا دليل أيضا على أن الزوج يتحمل العبء الأكبر وهذا الانطباع يأتي معه ادراك دور الذكر أو الرجل فى قيادة الأسرة والمجتمع بأسره . ويكمن هذا فيما يسمى بطابع الرجولة . ويرجع هذا التحول بنسبة ٤٠٪ بمشاركة الزوجة بعض الأعباء الى المطالب

(١) د. محمد الجوهرى وآخرون - دراسة فى علم الاجتماع ، دار المعارف ط ١٩٧٤ ص ص . ٢٩٠ ، ٢٩١.
(٢) مرجع سابق " بين القصرين " ص ١٤ .

التى فرضتها الحياة الاجتماعية الحديثة وضرورة المساعدة في نفقات المنزل خاصة الزوجات العاملات وقد فرض هذا التحول نفسه من خلال مايسمى بالتغير الاجتماعى الذى طرأ على حياة الأسرة المتحضرة المعاصرة .

وهناك أيضا مايدل علي استمرار قوة سلطة الأب ، فقد كشفت النتائج بنسبة ٨٠٪ أن الأب لاتزال تؤخذ مشورته في أى مشكلة تواجه الأبناء فى حياتهم . وفي نفس الوقت فقد حدث تحول خطير فى مشاركة الأبناء والأم رأى الزوج . فقد كشفت النتائج على أن نسبة كبيرة ٦٥٪ ذكرت أن الزوجة تتدخل في كل أى مشكلة ، ويرجع ذلك الى التراجع المستمر في سلطة الأب حيال الانفراد باتخاذ القرار ، باعتبار أن ذلك يرجع إلى رأى الجماعة . أما تمتع الأب بالسلطة المطلقة ٣٥٪ .

وتغير دور المرأة كان له أهمية كبيرة وذلك باحترام الرجل له ، فكون الأم تقوم بدور حل المشاكل ، فهذا نوع من تقسيم العمل ودورها الفعال والحقيقى فى رعاية الأسرة وصبرها ومعاناتها ، فدورها كأنثى جعلها تشعر بالرضا ، بالصبر والتحمل والطاعة والخضوع وهذا يكسبها الاستحسان والقبول من المحيطين . والصبر دائما فى فم المرأة المصرية ، أو الأم وهى تمارس عملها اليومى . كما حدث أن اظهرت النتائج بأن ٥٥٪ من عينة البحث بكافة مستوياتها تقاوم تنفيذ رأى الاب خاصة اذا كان خاطئا . وتمثل النسبة الباقية ٤٥٪ الباقية بأنه ليست هناك معارضة لرأى الأب .

المحافظة:

وتضيف القصة إلى أن سهرة أحمد عبد الجواد لم تقتصر آثارها على بعث الذكريات ، فمن مزاياها أيضا أنها تهيئة في أعقابها لأسلوب طيب من الحياة هو الذى تتلهف عليه زوجه المطيعة المستسلمة حين تجد نفسها بين يدى رجل حلو المعشر يتبسط معها في الحديث ويفضى اليها بما فى طويته على نحو يشعرها ولو الي حين بأنها ليست جارية ولكنها شريكة حياته . وهكذا راح يحدثها عن شئون البيت فأنبأها بأنه أوصى بعض التجار من معارفه على شراء خزين البيت من السمن والقمح والجبن . كما مضى يسأل عن حال الأولاد ، كما يحلو له أن يدعوهم بلا تفرقة بين كبيرهم الكاتب بمدرسة النحاسين وصغيرهم التلميذ بمدرسة خليل أغا . ولم ينس السؤال عن بناته لأنهن فى سن

الزواج وان الرؤية ممنوعة من الشبابيك والخروج فى الشارع . ولما فكرت أمينه الزوجة في تأدية الصلاة في مسجد الحسين القريب من المنزل ، وخرجت لزيارة مسجد حبيبها وأثناء عودتها ، وبعد تأدية الصلاة ، صدمتها سيارة وأصيب ساقيها ، حتى اذا ماعرف زوجها الحقيقة وأنها غادرت المنزل فى غفلة منه بعث بها إلى بيت أمها [١].

ورفضت الأم توسلات أولادها فى البقاء : وقالت ، انه ليس من الحكمة فى شيء أن تتحدى غضبه فمثله من يلين بالطاعة ، ويشتد بالعصيان .. لاجدوى من الكلام ، لابد من الذهاب ، لاتجزعا - لبنتيها لن يطول افتراقنا ، وسنجتمع مرة أخرى ان شاء الله [٢].

ولنا أن نستنتج من الموقف السابق العديد من الصفات والخصائص التي تتجه نحو الاعتدال ويردها البعض الى صفات الصبر [٣] والطيبة والرضا والقناعة أو القنوع . ولعل هذه الصفات التى يعتبرها الكثيرون هى نبع الحضارة المصرية المادى عبر التاريخ . كما انها هى التى ضمنت إستمرار وبقاء الشعب الألفى فى وجه غزوات وغارات الاستعمار . وهذا الرأى رافد يصب فى فكرة البعض عن الانسان المصرى كصانع حضارة وكانسان بناء من الدرجة الأولى .

وعلى العكس من ذلك لاتري النظرية المضادة من معاني أو نتائج الاعتدال الا صفات البساطة والطيبة الساذجة وعدم التفتح والتطلع . أما روح السماحة ومايسمى دماثة الخلق المصرى فهى مسئولة عن كثير من السلبيات . وكما يقول البعض ، فان التسامح " ينزلق أحيانا عندنا الى التساهل ، والتساهل هوالوجه الممسوخ للتسامح [٤].

وفى دراسة علمية حديثة لجامعة الاسكندرية عن ايجابياتوسلبيات الشخصية المصرية ، ان روح السماحة والدماثة المقولة على مزاياها ، تدهورت الى عيوب عديدة وخطيرة كالسلبية والتوكل والغموض وتناقض القيم والقصور فى الادارة ، والتهاون واللامبالاة والتسيب .

---

(١) مرجع سابق مصطفى عمر ص ٢٢٦ .

(٢) القصة ص ص ٢٢٨ - ٢٣٠ .

(٣) شخصية مصر ص ٥٣٨.

(٤) أنظر : الصبر فى التراث الشعبى المصرى ، د . السيد الاسود ، منشأة المعارف ١٩٩٠ ص ٢٣٦.

وتذهب نظرية الاعتدال إلى أن المصري صبور ولكنه قنوع أكثر مما ينبغى ، دؤوب مثابر الا أنه ايجابى أقل مما يجب ، واقعى جدا بدرجة تجعله مثاليا أقل من اللازم جدا ، مستقر الى حد بعيد لكنه غير حركى بما فيه الكفاية ، محافظ بالتأكيد الا أنه غير ثورى على الاطلاق ، طيب سمح حقا ودمث فعلا غير أنه بسيط غير طلق محدود الأفق نوعا ، صلب الى حد معلوم ،ولكنه غير طموح ، جرىء مغامر بمافيه الكفاية . بعيد بالفعل عن التعصب . إن الشعب المصرى طيب لابأس به أصلا كخامة [1] .

وحيال خاصية المحافظة قد كشفت الدراسة الميدانية على تحرر المرأة فى حركتها بما لا يسىء الى سمعتها وتمتعها بقدر كبير من الحرية فى حال خروجها من المنزل وزيارة الأهل والأصدقاء .

وهذا يعد تغييرا كبيرا اذ كانت نسبة موافقة الرجال على خروج المرأة بنسبة ١٠٠٪ بمختلف مستويات العينة أما في حالة تغيب المرأة عن المنزل أو خروجها بدون اذن الزوج فانه كان يوجه اليها اللوم والتأنيب بنسبة ١٠٠٪ . وهذا يدلنا على استمرار صفة المحافظة طبقا لعاداتالمجتمع وتقاليده . فطاعة الزوجة واجبة ، فقد أفادت العينة بنسبة ١٠٠٪ أنه من الضرورى معرفة الزوج بكل مايدور فى المنزل حينما لايتواجد به مع علمه بأصدقاء الأولاد دون التدخل فى فرضهم عليهم .

الوطنيـــــة :

والرجل السيد عبد الجواد مثقف ووطنى ، يعى مايدور حوله ، فكان يكره الجنود الاستراليين الذين ينتشرون فى المدينة كالجراد ويعيشون فى الأرض فسادا ، كما كان يعلم بوفاة السلطان حسين وأبى ابنه الأمير كمال الدين حسين اعتلاء عرش ابيه المتوفى فى ظل الاحتلال الانجليزى . وقبل العرش الأمير أحمد فؤاد أو السلطان فؤاد [2].

ويدلنا ماسبق على ان الرجل المصرى يمتلئ حبا ووطنية لبلده ، اذ ان السيد أحمد عبد الجواد كان مهتما بخروج الانجليز من مصر وكان يتمنى أن يتم ذلك على يد الألمان أو الأتراك آن ذاك حتى تنتهى الحرب . وهذا ليس بغريب على الشعب المصرى كله .

---

(١) شخصية مصر ص ٥٤٣ .

(٢) القصة بين القصرين ص ١٥

كما نجد أيضا فى الرواية ، الشيخ عبد الصمد الذى راح يدعو على الانجليز " قاتلهم الله وأهلكهم " .

وعن الوطنية فقد كان السيد أحمد عبد الجواد ، كما ذكرنا ، وطنيا أصيلا يحب مصر ويتعاطف مع الثوريين . كما تقبل استشهاد ابنه " فهمى " وانتقاله الى جوار ربه مع الأبرار وطنيا نبيلا وشهيدا كريما [١].

ولقد كان الكاتب أمينا فى وصف هذه المرحلة ، ولم يكن فى حديثه عن ثورة ١٩١٩ كالمؤرخ الذى يسرد احداثه فى مادة تاريخية ، بل نراه ينقل الينا الحوادث من خلال تطور الشخصيات فى القصة كما رأينا في شخصية فهمى الوطنية [٢].

ولازالت هذه الخاصية مستمرة مع ابناء المجتمع المصرى ، فقد دلت نتائج الدراسة الميدانية على أن نسبة ١٠٠٪ أفادت منذ اللحظة الأولى بالتفانى فى الدفاع عن الوطن والذود عن ارضه .

وهكذا كانت طبيعة المصريين عبر العصور التاريخية ، فقد دحروا الدخلاء وذادوا عن اراضيهم مغبة الاستعمار ولازالت هذه الصفة متأصلة . وزاد على ذلك احساس المواطن المصرى بأهميته ودوره فى عجلة الانتاج ، فكانت هناك صفة الجدية فى العمل من منطلق الوطنية ، لتقدم المجتمع ورفاهيته. الا أن المشاركة السياسية قد شابها بعض الخلل فتراجعت نسبة المشاركة الى ٤٠٪ وترجع ضآلة هذه النسبة الى الاحساس بعدم جدية المشاركة السياسية كالمشاركة فى الانتخابات واختيار المرشحين والترشيح وظهور بعض السلبيات فى الانتخابات مما حدا بالمواطن إلى الاحجام والسلبية تجاهها .

كما كشفت الدراسة بنسبة ٩٠٪ الاعتماد على الذات فى حل المشكلات دون الرجوع إلى الدولة باعتبارها تحمل الكثير من الهموم والأعباء ، وفى حالة عدم استطاعتهم حل مشكلاتهم ، فانهم يلجأون الى الدولة لحلها .

---

(١) القصة بين القصرين ص ص ٥٧٣ ، ٥٧٤ .

(٣) مرجع سابق مصطفى عمر ص ٢٣٢ .

التديـــــن :

ومما يـدل على أن التسـلط ليس هـو المفهـوم بمعنى التسلط لدى السيد أحمد عبد الجواد ذلك لأن التسلط يتعارض مع التدين ، فيقدم لنا الأستاذ / نجيب محفوظ صورة تنبض بالحيوية ، كل صباح يذهب الى الحمام ويستحم بالماء البارد كعادته - عادة لاينقطع عنها صيفاً أو شتاءً - ثم يعود الى حجرته مستجدا حيويته ونشاطه . ثم جاء بسجادة الصلاة ، فبسطها وأدى فريضة الصبح ، صلى بوجه خاشع وهو غير الوجه البسام الذى يلقى به اصحابه ، وغير الوجه الحازم الذى يواجه به أهل بيته ، هذا وجه خافض الجناح تقطر التقوى والحب والرجاء من قسماته المتراخية التى آلاتها التزلف والتودد والاستغفار ، لم يكن ليصلى صلاة آلية قوامها التلاوة والقيام والسجود ، ولكن صلاة عاطفة وشعور واحساس يؤديها بنفس الحماس الذى ينفضه علي ألوان الحياة التي يتقلب فيها جميعا ، كما يعمل فيتفانى فى عمله ويصادق فيفرط فى مودته ، ويعيش فيذوب فى عشقه ، فهو مخلصا صادقا فى كل حال . هكذا كانت الفريضة الروحية ، حجة روحية يطوف فيها برحاب المولى حتى اذا انفلت من صلاته وبسط راحتيه وراح يدعو الله أن يكلأه برعايته ويغفر له ويبارك فى ذريته وتجارته [1] .

وكذا نرى من الصفات التى تؤكد التوكل والاخلاص في العبادة والصلاة قبل خروجه الى العمل مما يدل على عدم الاتكالية ، وأن يأخذ بالأسباب ثم يوكل النتائج الى الله سبحانه وتعالى وهذه هى حـال الانسان المصرى ، بل وصفة الشخصية المصرية عموما .

والتدين سمة مصرية أصيلة وقديمة قدم الأديان ، بل سابقة هى للأديان ، ولعلها هى التى منحت المصرى قوة داخلية ومقاومة خارجية وصلابة غير عادية ضد الكثير من الأخطار والمحن والمآسى التى تعرض لها عبرالتاريخ ، سياسية كانت أو اجتماعية ، خارجية أو داخلية ، من استعمار الغزاة أو قهر الطغاة ، غير أن هذه الخاصية - يخشى البعض - كانت أيضا مهربا الى حد ما من الصدام مع تلك الأخطار والتحديات ، ومن ثم في النهاية قد بنا الى خاصية السلبية أو تؤكد تشخيصها. ومهما يكن فان التدين

---

(١) القصة ، ص ص ١٩ ، ٢٠.

والنزوع الدينى اذا جاز ان يرد فى دوافعه الى الزراعة وطبيعة الحضارة الزراعية على الأقل جزئيا ، فلعله أن يكون بدوره دافعا جزئيا مثلها وبجانبها الى الصبر ، ويكاد يجمع الكل بلا تردد على التصاقها الشديد بالانسان المصرى عامة ،الفلاح المصرى خاصة [1] .

والتدين من أقدم الخصائص للمصرى القديم حيث كانت الحياة الفروعونية بكل طقوسها المركبة تدور الى حد بعيد فيما حول الحياة الآخرى من موت وبعث ومعاش وضمير . بل لقد كانت مصر كما نعرف توحيدية قبل التوحيد ، ولا نقول كما يكاد البعض يقول مسلمة قبل الاسلام .

ولقد كانت هذه النزعة الدينية العميقة والأصيلة هي التى جعلت مصر تقبل الديانات التوحيدية الثلاث وتقبل عليها تباعا ودون انغلاق أو تحجر . لقد وجدت فيها جميعا انعكاسا بدرجات متفاوته لأعماقها الدفينة وتجاوبا مع طبيعتها الروحية الغريزية ، فمصر تلقائيا بيئة طبيعية للدين وبطبيعتها تربة صالحة له .

وليست صدفة بعد هذا على الأرجح أن مصر هى التى أضافت الى المسيحية الرهبنة والاسلام من بعدها التصوف . واذا كان البعض يرى فى هذه الاضافة بالدقة وفى كلتا الحالتين على السواء مظهرا من مظاهر السلبية المصرية المقولة ودليلا عليها - باعتبارها كأسلوب فى الحياة - نوعا من الانسحاب والهروب من دوامة الصراع وجبهة المواجهة ، فان البعض على العكس يرى فيها قمة التدين والنزعة الروحية ، على الأقل بالمقياس التقليدى .

وهذا مانقلنا على أية حال إلى التسامح الدينى كنتيجة منطقية مثلما هو صفة أساسية ولعل هذا يتضح في سهولة وانسيابية تحول مصر تباعا من والى الاديان الثلاثة ، مثلما يفسر هذا التتابع والتعاقب . فاللافت للنظر أن الاسلام أزاح المسيحية ، وحل محلها وحل محلها بنفس السهولة التى أزاحت بها المسيحية من قبل اليهودية وورثتها تماما أو تقريبا . فلم تكن مسيحيتها تمسحا ولا كان اسلامها استسلاما ، وانما هى روح التسامح فى الحالتين ، ومن هنا وجد آخرها الاسلام أرضا.

---

(١) مرجع سابق ، شخصية مصر ، ص ٥٢٤ .

خصبة ، فلم تلبث البذرة أن نمت وأفرهت وتحول مصر من مشتل للاسلام الى مزرعة له كثيفة حتى صارت فى النهاية قلبه ومركز ثقله [١].

كما أن مصر لم تعرف التعصب الدينى منذ البداية الى النهاية ولا عرفت الحروب الدينية أو المذابح الطائفية ، كالتى عرفت فى أوروبا ، ولا لمحاكم التفتيش ومحارق " الكفار " تماما كما لم تعرف المبارزة ، مثلا آخر حتي على غير المستوى الطائفى وبالتحديد على المستوى العرقى أو القبلى ، فالملاحظ أننا لم نسمع فى مصر عن النزاع التقليدى بين عرب الجنوب وعرب الشمال أو نزاع قيس -طىء ، وهو النزاع الذى عرفته دون استثناء سائر البلاد العربية بعد الاسلام وكان مصدرا لكثير من المعاناة والإضطراب والأحداث المؤسفة [٢].

فلقد كان الاضطهاد الدينى والتشيع ، على ندرتهما النسبية ، يأتيانها دائما من الخارج فقط وسرعان ماكانا يلفظان الى الخارج . والاشارة هنا أولا الى فترة الاضطهاد الدينى أيام المسيحية الأولى ، فانها كانت من فعل الوثنية الرومانية ثم جحود وظائفية مسيحية بيزنطية ، الاشارة هنا ثانيا هى الى فترة الشيعة التى أدخلها الفاطميون ، ثم ماتت معها ميتة طبيعية . انها ، كما قال كعب الأحبار " بلدة معافاة من الفتن " .

وهنا أيضا نجد تعدد الأديان هو الذى جب التعصب الدينى فمن ناحية تعاقب وان يكن بدرجات متفاوتة الأديان الثلاثة فى الماضى ، ومن ناحية أخرى انتهت الى التعايش فى ظل توازنات عددية بعينها ، وهذا وذلك جعلا التسامح ضرورة الحياة [٣].

وكانت أمينة الأم زوجة السيد أحمد عبد الجواد متدينة هى الأخرى ، ويتبين ذلك انه حينما ينصرف الأب والأبناء كل الى هدفه ، وكانت الساعة تلك من أسعد أوقات الأم ، بيد أن اشفاقها من سر الأعين على رجالها لم يقف عند حد ، فلم تكن تمسك عن تلاوة : " ومن شر حاسد اذا حسد " حتى يغيبوا عن عينيها . وفى بداية الرواية يطالعنا الأستاذ / نجيب محفوظ بطريقة حياة " أمينة " فيقول : هى العادة التى توقظها فى هذه الساعة ، عادة قديمة ، صاحبت شبابها منذ مطلعه ولاتزال تستأثر بكهولتها ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٣٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٣١ .
(٣) المرجع السابق ص ٥٣١ .

تلقنتها فيما تلقنت من آداب الحياة الزوجية ، أن تستيقظ فى منتصف الليل لتنتظر بعلها حين عودته من سهرته فتقوم على خدمته حتي ينام ، وجلست فى الفراش بلا تردد لتتغلب على اغراء النوم الدافىء " وبسملت " ، ثم انزلفت من تحت الغطاء الى أرض الحجرة (١).

وتشير كلمة " بسملت " الى استفتاح النهار ببسم الله الرحمن الرحيم ، وهذا من تعاليم الدين الحنيف ، ويعنى هذا أن " أمينة " لا تجهل تعاليم الدين وفوائده ، فبداية اليوم باسم الله يفتح عليها وعلى أولادها وبيتها بالخير وايذانا بقدوم يوم جميل ، هكذا كان اعتقاد المصرى حتى يومنا هذا . فلا يخيب ظنه ولايكسر له رأى .

وحينما كانت " أمينة " تطوف بحجرات المنزل فى صحبة خادمتها ، كانت تتلو ما تحفظ من سور القرآن الكريم وفقا لدفع الشياطين ، ثم تنتهى الى حجرتها فتغلق بابها وتندس فى الفراش ولسانها لايكف ولا يمسك عن التلاوة حتى يغلبها النوم . ولعلها كانت تعتقد فى عالم الجن وأنها لاتعيش وحدها فى البيت الكبير ، وأن الشياطين لايمكن أن تضل طويلا عن هذه الحجرات القديمة الواسعة الخالية ، فكم دب الى أذنيها همساتهم وكم استيقظت على لفحات من أنفاسهم وما من مغيث الا أن تتلو الفاتحة والصمدية (٢) .

وهكذا كانت أفكار " أمينة " لدرجة أنها وهى منفردة بطفلها تنومه وتلاطفه ، أن تضمه الى صدرها فجأة ثم تتصنت في وجل وانزعاج ثم يعلو صوتها هاتفة وكأنها تخاطب شخصا حاضرا ، : ابعد عنا ليس هذا مقامك ، نحن قوم مسلمون موحدون ، ثم تتلو الصمدية فى عجلة ولهوجة ، وهذا دليل على قوة ايمان أمينة بالله والاستعاذة به فى كل وقت .

لقد كانت " أمينة " على الرغم من ضعفها أمام مواجهة رب الأسرة ، الا أنها كانت عاملا هاما فى تماسك هذا البيت ومنعه من التصدع . فقد كانت تؤمن بالمعتقدات الخرافية والدينية ايمانا راسخا ، فتقتنع بعالم العفاريت والجن وتدين بالولاء لسيدنا الحسين . ومع ذلك فهى تؤمن بالله وعلى دراية بالدين ، ولا غرابة

---

(١) الرواية ص ص ١، ٢ .
(٢) القصة ص ٧ .

فى هذا فقد كان والدها شيخا وساعدتها هذه الخاصية فى تعميق المعلومات الدينية عند أبنائها [1].

ومن هذا المنطلق فكانت الطاعة العمياء للزوج التى تنم عن أدب وخضوع . وكانت تمارس وظائفها الاجتماعية بما يتميز بالشمولية بحيث أنه امتد الى أبعد من حدود المنزل والحياة الاسرية أو تربية الأبناء والعناية بشئون الزوج .

وعلى الرغم من وجود بعض التعاليم والوصايا التى تحمى مكانة المرأة وتعلى من شأنها ، الا أن هناك مؤشرات توحى بأن منزلة المرأة أدنى من منزلة الرجل وأن قدرات الرجال تفوق قدرات الاناث لا لسبب الا لأنهن خلقن هكذا ، كما وضعت بعض المعايير والمحكات للمرأة الصالحة من أهمها الطاعة والخضوع [2].

ولقد أدت فترة الاحتلال الانجليزى لمصر ١٨٨٢ من وراء ستار ، الى آثار اجتماعية تجاه مكانة المرأة ووضعها الاجتاعى فى ذلك الوقت تمثلت فى ظهور ملامح الانعزاليه والسلبية والجهل وحرمانها من المكانة الجديرة بها فى المجتمع خوفا عليها من تبهرج الفرنجة [3].

وعن صفة التدين فقد كشفت الدراسة الميدانية ان هذه الصفة لاتزال باقية ومتأصلة ، ذكر ١٠٠٪ بأنهم يؤدون الصلاة بانتظام ، ذكر ممن يؤدونها في اوقاتها ٦٠٪ نظرا لظروف خارجه عن ارادتهم . وقد يكون هذا نوع من التناقض فى الشخصية المصرية ، اذ ظهر جليا في حالة التسامح بين المصرى والمصري ان نسبة ٧٠٪ لاتتسامح فيما يخصها .

كذلك لوحظ من نتائج الدراسة بأن الأم ملتزمة بتأدية صلاتها على الرغم من مسئوليتها وتعدد ادوارها ، فقد دلت نتائج الدراسة بنسبة ٧٠٪ على ذلك .

وقد ترتب على صفة التدين صفة التعاون والتكافل الاجتماعى ، فقد دلت نتائج

---

(١) مصطفى عمر ص ٢٣٢.

(٢) د . محمد عاطف غيث وأخرون، مجالات علم الاجتماع المعاصر ، أسس نظرية ودراسات واقعية ، دار المعرفة الجامعية ، ط١ ١٩٨٥ ص ص ٦٠٢ ، ٦٠٣.

(٣) المرجع السابق ص ٦٠٢ .

الدراسة بأن تقديم يد المساعدة والتكافل كانت بنسبة ٧٠٪ على الرغم من ضغوط الحياة الاجتماعية وكثرة مطالبها . والمصرى ودود وشهمفقد دلت نتائج الدراسة على أن نسبة ١٠٠٪ من أفراد العينة كانت تشارك فى حل المنازعات بين الجيران . الا أنه كان هناك نوع من السلبية فى بعض المواقف بلغت نسبتها ٤٥٪ وذلك فى التدخل لنصح الآخرين و الدفاع عنهم . وترجع هذه النسبه الى ازدياد ضغوط الحياة وانشغال الناس بأحوالهم ، وهذا جعلهم يبعدون عن المشاكل التى تسبب لهم الانزعاج والقلق .

الاعتقاد فى الأولياء والخرافات:

هناك العديد من الصفات والخصائص الأخرى ، كخاصية الاعتقاد فى الأولياء والخرافات ، فهذا هو الشيخ متولى عبد الصمد [١] الذى يتلفع بعباءة بالية ناصلة وان أمكنه أن يستبدل بها خيرا منها يجود به المحسنون ، ولكنه استمسك بها لأنه - فيما يقول - رأى " الحسين ؛ فى منامه وهو يباركه ، فبعث فيها خيرا لايبلى ، وكان له كراماته فى قراءة الغيب والدعوات الشافية وعمل الأحجبة ، معروفا بالصراحة والظرف ، وبه متسع للدعابة والمزاح .

واعتقاد كهذا انما يغلف عقلية المصرى منذ عهود بعيدة وحتى يومنا هذا ، فنجد الاعتقاد فى قدرة الأولياء على حل مشكلات الناس - التى قد تحل بالصدفة - فيذهبون الى الأضرحة ويدسون فيها الهدايا والقرابين شكرا على ما أصابهم من فائدة ، فالغائب قد حضر ، والمريض قد شفى ، والمحتاج أغنى ، والضائع قد عاد . وعلى الرغم من أن الصدفة قد تلعب دور هاما فى هذه المواقف ، الا أن ذلك قد يزيد من الاعتقاد وترسيخه لدى البسطاء وحتى المثقفين كذلك .

وقد دلت نتائج الدرسة الميدانية على أن نسبة ٩٠٪ أفادت بأنها تحب والأولياء والصالحين . ومفاد ذلك أنه لايزال الاعتقاد فى قدرة الأولياء والصالحين على حل الكثير من المشاكل مثل الشفاء من المرض والحمل وعودة الغائب والعثور على الضائع . ويرجع هذا الاعتقاد وترسيخه بأن الله سبحانه وتعالى قد أولى عناية خاصة بالأولياء . كما كشفت العينة بنسبة ٩٠٪ عن زيارة الأضرحة والموالد .

---

(١) القصة ص ٣٧ .

وترتب على ذلك أيضا الاعتقاد في الحسد والعين الشريرة ذلك لأنه ذكر في القرآن ، فقد ذكر ذلك افراد عينة البحث بنسبة ٨٥٪ ، ولاتزال هذه السمة يتصف بها المجتمع المصرى .

أما الاعتقاد فى السحر والجان فقد تساوت النسبه بين القبول والرفض ٥٠٪ ، وهذا يدل على تراجع الاعتقاد في السحر والشعوذة عن ذى قبل ، فالذين يقبلونه أفادوا بأنهم مروا بتجارب حلت بها مشاكلهم ، وهذا أدى الى رسوخ الاعتقاد ، أما الرافضون فأفادوا بأن الله قادر على كل شيء ، وهذا النوع من الايمان انما يعتبر تحولا خطيرا الى الصفات الايجابية والاتكال على الله وهذه خاصية المجتمع المصرى الحديث ، وأن الدين ليس له علاقة بهذه الظاهرة . فالشعب المصرى متدين على مر العصور ، معتدل في مظهره وجوهره وسلوكه وتفكيره ومزاجه .

الخاتمة والنتائج العامة

ان موضوع دراسة الشخصية المصرية من الموضوعات التى تدور حولها الخلافات فى الحكم والتقييم ، بحيث يتوقف ذلك على وجهات نظر ذاتية ، كفلسفة الأخلاق ، ومعنى الخير والشر والفضيلة والرذيلة والحق والباطل ومثال الجمال مدى المثالية أو الواقعية ، والنظرة التفاؤلية أو التشاؤمية ، وهذا مايجنح بنا نحو الميتافيزيقا ، بل ويجنح بنا خارج دائرة العلم الوضعى والموضوعى . فلا مقياس يعنى للقيم ولاضابط للمقاييس ولانهائية فى الأحكام ، بل لا أحكام على الاطلاق .. هذه واحدة ، مشكلة النظرة الذاتية أو الفلسفية (١).

والمشكلة الثانية هى المصلحة الذاتية ، ولعل أغرب مافيها هى بدورها العلاقة العكسية بين المصلحة والدعوة . فبعيدا عن الأعداء الطبيعيين لمصر ولشعب مصر فى الخارج ، تاريخيا وحاليا ، فان أشد المنتقدين لنقاط الضعف والسلبيات فى الشخصية المصرية هم عادة أشد الوطنيين الممتازين من المصريين طموحا واخلاصا وأشدهم حبا لمصر وحدبا عليها ورغبة فى تقدمها ورقيها (١).

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فلقد كان على رأس الراضين عن تلك السلبيات والعيوب بعينها والساكتين عليها بل والمجحدين لها ، اؤلئك المنتفعون بها ، اؤلئك الذين ينظرون الى الشعب نظرة الصائد للطير لا القائد للجند ، بينما ينظر الشعب اليهم نظرة الطير للصائد لا الجند للقائد على حد تعبير سعد زغلول الشهير .

وهناك الناقدون وهم مجرد زاجرين متحمسين وذلك استنهاضا واستنفارا للهمم والوعي وحثا على التغير نحو الأحسن ، وهناك المنتفعون بالسلبيات ، ضمانا لبقائهم على السلطة ، قمة الاستغلال والابتزاز والاستعباد والقهر للشعب .

وحتى نكون أقرب إلى الواقع ، وحتى لانقع فى أخطاء هؤلاء وأولئك فقد اعتمدنا فى دراسة الشخصية المصرية على وقائع حية ثابتة جاءت فى سجل حافل سردت مكوناته فى رواية " بين القصرين " ، اذ أن الكاتب صور الشخصيات المحورية

---

(١) جمال حمدان ص ٥٢٠ .

(٢) جمال حمدان ص ٥٢١ .

تصويرا واقعيا لم يجعل هناك مجالات للتحيز أو الخروج على الموضوعية كما تأيد ذلك بالدراسة الميدانية والبعد عن الذاتية فى فهم طبيعة هذه الشخصيات .وهذا ماجعلنا نستنبط صورة حية لطبيعة الشخصية المصرية وخصائصها فى تلك الفترة والتحولات التى طرأت عليها بعد ذلك وان كانت تلك الصورة متكررة عبر العصور خاصة فى المجتمعـــات الشرقية . وهذا ايضا ، ما جعلنا ننهج منهج " تحليل المضمون ودراسة الحالة " .

ودلتنا الدراسة باستفاضة على النتائج الآتية :

١ - التسلط :

تلك الخاصية التى كانت تلف السيد أحمد عبد الجواد عميد الأسرة ، فشخصيته هى صورة متكاملة لسلوكه يشعر من خلالها بتميزه عن فرد آخر . والشخصية هنا ليست أمرا نظريا نرثه أو يوهب لنا وانما هى عملية ديناميكية مكتسبة من خنلال مواقف تعلم ونمو نفسى (١).

ولقد كانت صفة التسلط تخفى وراءها ملامح الجد والوقار والقلب الطيب والاحساس بالمسئولية ، كذلك فقد كشفت المواقف عن حنو الرجل، وغيرته على أهل بيته من منطلق المحافظة وهذه عادة المجتمع المصرى وصفاته الأصيلة التى لاتزال تنم عن النخوة والرجولة ، وان ظهرت هناك هنات فى اعتداء البعض على الاناث فى الطرقات ، لكن هذه ليست الا أحداث طارئة سرعان ما يتغلب عليها الطابع المصرى العام كما يهضم المضاد ويفتك بالجراثيم.

٢ - الثقافة :

تبين أن السيد أحمد عبد الجواد كان يتمتع بقسط من الثقافة العامة على الرغم من أن تعليمه توقف دون الابتدائية ، فكان حديثه لايخلو من لمحات غير مقطوعة الصلة بالثقافة العامة التى اكتسبها من قراءة الصحف ومصادقة نخبة من الأعيان والموظفين والمحامين الذين أهله لمخالطتهم - مخالطة الند بالند - حضور بديهيته ولطفه وظرفه

---

(١) د . عبد السلام الشيخ - محاضرات فى علم النفس العام ١٩٩٠ -٩١ صص ٢٩١-٢٩٢ .

ومنزلته كتاجر ، فاستجد لنفسه عقليه غير العقلية التجارية المحدودة ، ضاعف من اعتزازه بها ماحبا اؤلئك الممتازون من حب واحترام وتكريم [1].

وكانت " أمينة " هى الأخرى على وعى بما يدور حولها ، فكانت تلعن الاستعمار نتيجة ما كان يصل اليها والى اسماعها من زوجها ، ثم زاد حنقها عندما استشهد ابنها فهمى .

وكان ياسين مولع بالقراءة ، فكان يتحدث حينا ويقرأ فى قصة " اليتيمتين " من مجموعة مسامرات الشعب حينا آخر ، كان من عادة الشباب أن يهب بعض فراغه لمطالعة القصص والأشعار لاحساسه بنقص تعلمه ، فالابتدائية وقتذاك لم تكن مطلبا صغيرا - مولعا بالقراة . وهذا حال الشباب بصفة عامة . فعلى الرغم من عدم حصوله على درجات علمية عاليه الا أنه كان مثقفا ولبد كمال لصقه ليلتقط مايرمى اليه بين آونه وأخرى من بوادر القصص وهو لايكف عن الاستزادة منها غير مكترث لما يحدثه الحاحه على أخيه من الضيق كى يشبع أشواقا تشتعل بخياله فى مثل هذه الساعة من كل يوم ، ولكن ما أسرع أن يشغل عنه " ياسين " بالحديث أو بالاسغراق فى المطالعة متفضلا عليه بين الحين وآخر - كلما اشتد الحاحه بكلمات مقتضبه ان وجد بها الجواب على اسئلته فما أحرى أن تستثير أسئلة جديدة لاجواب لها عنده ، ثم لايفتأ يرمق أخاه وهو آخذ فى المطالعة التى تبيح له مفتاح العلم السحرى بعين الحسد والحزن ، فكم حز فى نفسه عجزه عن قراءة القصة بنفسه ، وكم أحزنه أن يجدها بين يديه يقبلها كيف شاء دون أن يسعه حل رموزها فالولوج منها الى دنيا الرؤى والأحلام ، فقد وجد فى هذا الجانب من " ياسين " مثارا لخياله هيأ له من ألوان المسرة ماهيأ ، ويصبح من أسباب الظمأ وعذابه ماهيأله " .

٣ - الوطنية :

لقد كانت الوطنية صفة الانسان المصرى منذ عصور ماقبل التاريخ ، ففى عهد الفراعنة عرف المصرى القديم فنون الحرب وأساليبه واخترع العدد والعتاد لمواجهة الأعداء ، فهزم الهكسوس وزاد عن أرضه غوغاء الاحتلال ، وحرم المعتدى حلو القدوم ، فكان المنتصر فى النهاية . وفى العصر الاسلامى هزم التتار ودافع بشرف عن الحرية والعدل

---

(١) القصة ص ص ٣٦ ، ٣٧ .

ودحر المعتدى دون هوادة إلى أن انتصر . وفى العصور الحديثة كان الكفاح ضد الانجليز حتي الجلاء ثم كان نصر اكتوبر العظيم تتويجا للوطنية ، واحساسا بالمسئولية .

ولقد تلمسنا ذلك فى قطبى القصة ومحورها ، السيد أحمد عبد الجواد والزوجة أمينة ، وهما رمزان لخصائص الرجل والمرأة للشعب المصرى ، فقد كان الرجل يكره الاحتلال من نبع الوطنية الفياض وكانت هى الأخرى تكن كراهية لما تسمع بما يفعله الاستراليين والانجليز فى محيط الأسرة ولاسيما بعد استشهاد ابنها فهمى .

كان فهمى يحفظ خطب سعد زغلول السياسية الوطنية ، بل أكثر من هذا كان يشارك فى توزيع المنشورات ضد الانجليز سرا ، وكان هذا على سمع ومرأى من الأسرة عدا الأب ، حتى قالت الأم له ذات مرة " لا أكاد أصدق أذنى ، كيف تعرض نفس للشر وأنت سيد العقلاء ! [1] .

كان فهمى يعرض نفسه للخطر فى سبيل الوطن وهذا واجب مادام الوطن كله يتوقف وجوده على الجلاء ، جلاء الانجليز الذين يحتلون بلادنا ، وكان فهمى يقول : لاحياة لقوم حكمهم اجنبى .

وفى صبيحة يوم كان راكبا ترام الجيزة في طريقه الى مدرسة الحقوق فوجد نفسه بين مجموعة من الطلاب يتناقشون ويلوحون بقبضاتهم ، نفى سعد ، انضم اليهم الكثيرون ، ووصلوا الى فناء المدرسة فوجده مكتظا يغلى ، فايقن أن هذه النار المتقدة لن تبرد ، ثم انبرى أحدهم مناديا بالاضراب وهتفوا به وهم يتأبطون كتب القانون وجاءهم ناظرهم المستر والتون ونصحهم في لطف غير معهود بالدخول الى الفصول ، فراح شاب منهم يخطب بحماس فائقة وردد الجميع ، يحيا الاستقلال ولتسقط الحماية ، يحيا سعد . وجاءهم نائب المستشار القضائى البريطانى لوزارة الحقانية فقابلوه بهتاف واحد " لتسقط الحماية " فنصحهم بالعودة إلى دروسهم وترك السياسة إلي آبائهم ، فتصدى له أحدهم قائلا : ان آباءنا قد سجنوا ، ولن ندرس القانون فى بلد يداس فيه القانون " [1] .

وخرجوا متظاهرين وانضم اليهم طلاب مدرسة المهندس خانه ثم الزراعة ثم الطب

---

(١) القصة ص ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .
(٢) القصة ص ٣٤١ .

فالتجارة حتى بلغوا ميدان السيدة زينب وانتظمت مظاهرة كبيرة انضم اليهاجموع الأهالى وتعالى الهتاف لمصر والاستقلال وسعد ، وظلت المظاهرات على أربع أيام متواليات ، قبض فى اليوم الأول على البعض واعتقل والبعض مات بالرصاص وذهبوا ضحايا ، فما لبث أن أضرب عمال الترام وسائقوا السيارات والكناسون ، فبدت العاصمة حزينة غاضبة موحشة .

وفى احدى المظاهرات السلمية التى اذنت بها السلطات ونكست عهدها ، استشهد فهمى وانتقل الى جوار الأبرار وطنيا نبيلا وشهيدا كريما ، وبلغ السيد أحمد عبد الجواد الخبر ، ولم يعد ثم أمل الا فى الصبر [1] .

هذه هى بعض خصائص الشخصية المصرية التى استطاعت القصة أن تصورها وخلصت الدراسة اليها والتى مازالت قائمة حتيى الآن ، التسلط ، الثقافة ،الوطنية ، التدين ، الصبر ، عدم الاتكالية ، التسامح الدينى ، الرضا ، القناعة والاعتقاد فى الغيبيات والحرية ، والفكاهة والنكتة والسخرية .

---

(١) القصة ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ .